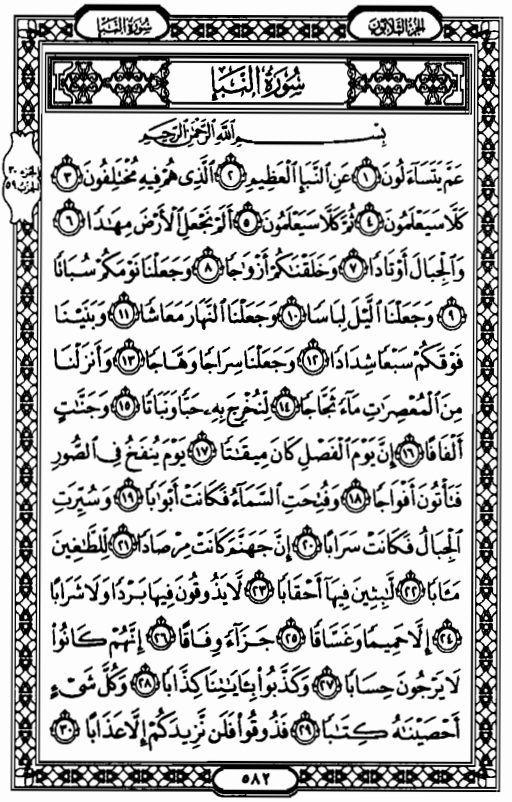
سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا
﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا
فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا
مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ
أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ
مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا
﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا
لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ
أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

٥٨٢

معانى الكلمات :

النبأ العظيم : البعث بعد الموت .

مهادا : فراشا موطأ للاستقرار عليه .

سباتا : راحة لأجسادكم .

لباسا : ساتراً لكم .

معاشا : تحصلون فيه ما تعيشون به .

شدادا : سموات قويات محكمات .

سراجا وهاجا:مصباحا منيراً (الشمس).

المعصرات : السحائب التى حان مطرها .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة الإلهية .

٢ ـ أن نعلم بشاعة الطغيان وجزاء الظالمين .

٣ ـ أن نعلم أن أعمال العباد ـ مؤمنهم وكافرهم ـ كلها محصاة عليهم وسيجزون بها .

المحتوى التربوى :

يقول صاحب الظلال : « هذا الجزء كله .. سوره مكية فيما عدا سورتى البينة والنصر ، وكلها من قصار السور على تفاوت القصر ، والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذى يجعلها وحدة ـ على وجه التقريب ـ فى موضوعها ، واتجاهها ، وإيقاعها ، وصورها وظلالها ، وأسلوبها العام ، إنها طرقات متوالية على الحس ، طرقات عنيفة قوية عالية ، وصيحات ، صيحات بنوَّم غارقين فى النوم ، نومهم ثقيل ، أو بسكارى مخمورين ثقل حسهم الخمار ، أو بلاهين فى سامر راقصين فى ضجة وتصدية ومكاء ، تتوالى على حسهم تلك الطرقات والصيحات المنبثقة من سور هذا الجزء كله بإيقاع واحد ونذير واحد : اصحو . استيقظوا . انظروا . تلفتوا . تفكروا . تدبروا .. إن

هنالك إلها . وإن هنالك تدبيراً ، وإن هنالك تقديراً . وإن هنالك ابتلاء . وإن هنالك تبعة . وإن هنالك حسابا . وإن هنالك جزاء . وإن هنالك عذابا شديداً ونعيما كبيرا ... » .

وتبدأ بسؤال موح مثير للاستهوال ، والاستعظام ، وتضخيم الحقيقة التى يختلفون عليها ، وهى أمر عظيم لا خفاء فيه ولا شبهة ، فجاء مطلع السورة فيه استنكار لتساؤل المتسائلين وفيه عجب أن يكون هذا الأمر موضع تساؤل ، وقد كانوا يتساءلون عن يوم البعث ونبأ القيامة ، وكان هو الأمر الذى يجادلون فيه أشد الجدل ، ولا يكادون يتصورون وقوعه ، وهو أولى شىء بأن يكون ، ومن ثم لا يجيب الله ـ تعالى عن التساؤل ، ولا يدلى بحقيقة النبأ المسؤول عنه ، فيتركه بوصفه العظيم وينتقل إلى التلويح بالتهديد بأنهم سيعلمون عم يتساءلون .

ثم ينتقل السياق إلى أرجاء الكون الواسع العريض ، فيبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمورالعجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره وتأتى الجولة الأولى عن الأرض والجبال ، وجعل الأرض مهاداً للحياة شاهدًا لا يمارى فى شهادته بوجود المدبر الحكيم من وراء هذا الوجود الظاهر ، فاختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة فى خلق الأرض هكذا بجميع ظروفها ، أو اختلال نسبة واحدة من النسب الملحوظة فى خلق الحياة لتعيش فى الأرض ، الاختلال هنا ، أو هناك لا يجعل الأرض مهاداً ، وجعل الجبال أوتادا يدركه الإنسان من الناحية الشكلية بنظره المجرد ، فهى أشبه شىء بأوتاد الخيمة التى تشد إليها ، أما حقيقتها فنتلقاها من القرآن ، وندرك منه أنها تثبت الأرض وتحفظ توازنها ويدركون هذا ، لأنها تعادل بين نسب الأغوار فى البحار ونسب المرتفعات فى الجبال .

وتجىء **اللمسة الثانية** فى ذوات النفوس فى نواحى وحقائق شتى ، وقد خلق الله الإنسان ذكراً وأنثى وجعل حياة هذا الجنس وامتداده قائمة على اختلاف الزوجين ، والتقائهما ، وكل إنسان يدرك هذه الظاهرة ، ويحس ما وراءها من راحة ولذة ومتاع وتجدد بدون حاجة إلى علم غزير ، وكان من تدبير الله للبشر أن جعل النوم سباتا يدركهم فيقطعهم عن الإدراك والنشاط ، ويجعلهم فى حالة لا هى موت ، ولا هى حياة ، تتكفل بإراحة أجسادهم وأعصابهم ، وتعوضها عن الجهد الذى بذلته فى حالة الصحو والإجهاد ، والانشغال بأمر الحياة ، وفى النوم أسرار غير تلبية حاجة الجسد والأعصاب ، إنه هدنة الروح من صراع الحياة العنيف .

وتجىء **اللمسة الثالثة** فى خلق السماء متناسقة مع الأرض والأحياء ، فالسموات السبع متينة التكوين قوية البناء ، مشدودة بقوة تمنعها من التفكك والانشناء ، وبناء هذه السبع الشداد متناسق مع عالم الأرض والإنسان ، ومن ثم يذكر فى معرض تدبير الله وتقديره لحياة الأرض والإنسان ؛ فالشمس المضيئة الباعثة للحرارة التى تعيش عليها الأرض وما فيها من الأحياء ، والتى تؤثر كذلك فى تكوين السحائب بتبخير المياه من المحيط الواسع فى الأرض ورفعها إلى طبقات الجو

العليا ، وهى المعصرات حين تعصر فتخر ويتساقط ما فيها من الماء ، ومن يعصرها ؟ قد يكون هى الرياح ، وقد يكون هو التفريغ الكهربائى فى طبقات الجو ، ومن وراء هذه وتلك يد القدرة التى تودع الكون هذه المؤثرات ، وبهذا الماء المتتابع الكثير الطيب النافع المبارك الحب الذى يدخر للأناسى والأنعام ، والنبات الخضر الذى يؤكل رطبا ، وبساتين وحدائق من ثمرات متنوعة، وألوان مختلفة ، وطعوم وروائح متفاوتة ، وإن كان ذلك فى بقعة واحدة من الأرض مجتمعا .

ولقد كان ذلك كله للعمل والمتاع ، ووراء هذا كله حساب وجزاء ، ويوم الفصل هو الموعد الموقوت للفصل ، فالناس لم يخلقوا عبثا ، ولن يتركوا سدى ، فهنالك يوم للحكم والفرقان والفصل فى كل ما كان ، وهو اليوم المرسوم الموعود الموقوت بأجل عند الله معلوم محدود ، يوم ينقلب فيه نظام هذا الكون ، وينفرط فيه عقد هذا النظام ، والصور : البوق ، ونحن لا ندرى عنه إلا اسمه ، ولا نعلم إلا أنه سينفخ فيه ، وإنما نحن نتصور النفخة الباعثة المجمعة التى يأتى بها الناس أفواجا مبعوثين قائمين آتين من كل فج إلى حيث يحشرون ، ونتصور الأجداث المبعثرة وهذه الخلائق منها قائمة وفى هذا الكون الذى نعرفه أحداث وأهوال جسام ؛ فالسماء المبنية المتينة فتحت فكانت أبوابا ، فهى منشقة منفرجة على هيئة لا عهد لنا بها ، والجبال الرواسى الأوتاد سيرت فكانت سرابا ، فهى مدكوكة مبسوسة مثارة فى الهواء هباء ، يحركه الهواء ومن ثم فلا وجود لها كالسراب الذى ليس له حقيقة ، أو أنها تنعكس إليها الأشعة وهى هباء فتبدو كالسراب .

ثم يمضى السياق خطوة وراء النفخ والحشر ، فيصور مصير الطغاة وجهنم قد خلقت ووجدت وكانت مرصادًا للطاغين تنتظرهم ، وتترقبهم ، وينتهون إليها ، فإذا هى معدة لهم ، مهيأة لاستقبالهم وكأنما كانوا فى رحلة فى الأرض ، ثم آبو إلى مأواهم الأصيل ، وهم يردون هذا المآب للإقامة الطويلة المتجددة لا يجدون فى جهنم برداً لقلوبهم ، ولا شرابا طيبا يتغذون به ، ثم يستثنى بما هو أمر وأدهى ، إلا الماء الساخن يشوى الحلوق والبطون فهذا هو البرد ، وإلا ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ، ودموعهم وجروحهم ، وهذا هو الشراب وهذا يوافق ما أسلفوا وما قدموا فلم يكونوا يتوقعون مآبا ولا حسابا وكذبوا بالآيات بينما كان الله يحصى عليهم كل شىء إحصاء دقيقا لا يفلت منه حرف فيقال لهم : ذوقوا فلن نزيدكم إلا العذاب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ يسر الله ـ عز وجل ـ سبل الحياة على هذه الأرض للعمل ، والمتاع الذى لا يغضب الله تعالى .

٢ ـ الحساب والجزاء على ما قدم الإنسان فى الدنيا أمرحتمى فى يوم الفصل .

٣ ـ جهنم مصير الكافرين الذين خرجوا عن طاعة الله فى الدنيا

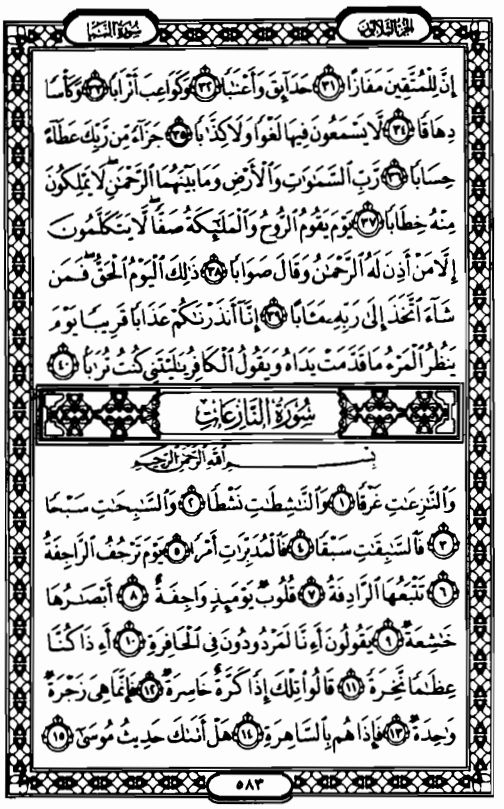
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا
دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً
حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ
مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ
إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ
شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ
يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا
﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ
﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا
خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا
عِظَامًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ
وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾

٥٨٣

معانى الكلمات :

كواعب : فتيات ناهدات .

أترابا : مستويات فى السن .

دهاقا : مترعة مليئة من خمر الجنة .

والنازعات : الملائكة تنزع أرواح الكفار بقسوة . **والناشطات** : الملائكة تسيل أرواح المؤمنين برفق . **والسابحات** : الملائكة تنزل مسرعة لما أمرت به .

فالسابقات : الملائكة تسبق بالأرواح إلى مستقرها .

فالمدبرات : الملائكة تنزل بالتدبير المأمور به .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم جزاء المتقين ، وفضل التقوى .

٢ ـ أن نستشعر حقيقة الآخرة وأهوالها وضخامتها .

٣ ـ أن نتعرف على حوار أهل الضلال مع أنفسهم يوم القيامة وما كان من الرد عليهم .

المحتوى التربوى :

يعرض السياق مشهد التقاة فى النعيم بعد مشهد الطغاة فى الحميم ، فإذا كانت جهنم هناك مرصدا ومآبا للطاغين لا يفلتون منها ولا يتجاوزونها ، فإن المتقين ينتهون إلى مفازة ومنجاة ، تتمثل بساتين من النخيل وغيرها ويخص الأعناب لأنها مما يعرفه المخاطبون ، ولهم فى الجنة فتيات ناهدات وهن اللواتى استدار أنداؤهن ، متوافيات السن والجمال ، ولهم كؤوس مملوءة مترعة بالشراب ، وإلى جوار هذه المناعم حالة يتذوقها الضمير ويدركها الشعور، فليس هناك كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم ولا كذب ، بل هى دار السلام ، وهى حال من الرفعة والمتعة تليق بدار الخلود ، وهذا الذى ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضله ومَنِّه وإحسانه .

ويجىء المشهد الختامى فى السورة حيث يقف جبريل ﷺ ، والملائكة صفا بين يدى الرحمن خاشعين ، لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن فى الموقف المهيب الجليل ، فجزاء الطغاة ، وجزاء التقاة هذا الجزاء من ربك ، وهذه هى الحقيقة الكبيرة ، حقيقة الربوبية الواحدة التى تشمل الإنسان كما تشمل السموات والأرض، وتشمل الدنيا والآخرة ، وتجازى على الطغيان والتقوى، وتنتهى إليها الآخرة والأولى ثم هو الرحمن ، ومن رحمته ذلك الجزاء ولهؤلاء وهؤلاء ، ومن الرحمة أن يجد الشر جزاءه وألا يتساوى مع الخير فى مصيره ، ومع الرحمة والجلال والروح والملائكة وقوف لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذن الله ، وحيث يكون القول صوابا .

وتنطلق صيحة من صيحات الإنذار لأولئك الذين يتساءلون فى ارتياب عن يوم القيامة ، فلا مجال للتساؤل الاختلاف فهو الكائن لا محالة ، فمن أراد مرجعا وطريقا إلى الله يهتدى إليه ومنهجا يمر به عليه ، وهذا اليوم ليس ببعيد ، والدنيا كلها رحلة قصيرة وعمر قريب ، وهو عذاب من الهول بحيث يدع الكافر يؤثر العدم على الوجود ، حتى ليتمنى أن ينعدم ويرى هذا أهون من مواجهة الموقف الرهيب الشديد .

سورة النازعات

هذه السورة نموذج من نماذج هذا الجزء لإشعار القلب البشرى حقيقة الآخرة بهولها وضخامتها ، وجديتها ، وأصالتها فى التقدير الإلهى لنشأة هذا العالم الإنسانى ، والتدبير العلوى لمراحل هذه النشأة ويمهد لحقيقة الآخرة الهائلة بمطلع غامض لكنه يثير بغموضه شيئا من الحدس والرهبة والتوجس ، قيل فى تفسير هذه الكلمات : إنها الملائكة نازعات للأرواح نزعا شديداً ، ناشطات منطلقات فى حركاتها ، سابحات فى العوالم العليا سابقات للإيمان ، أو للطاعة لأمر ربها مدبرات ما يوكل من الأمور إليها ، وقيل : إنها النجوم تنزع فى مداراتها وتتحرك وتنشط متنقلة من منزل إلى منزل ، وتسبح سبحا فى فضاء الله وهى معلقة به ، وتسبق سبقا فى جريانها ودورانها ، وتدبر من النتائج والظواهر ما وكله الله إليها مما يؤثر فى حياة الأرض ومن عليها .

وقيل : النازعات والناشطات والسابحات والسابقات هى النجوم والمدبرات هى الملائكة ، وقيل : النازعات والناشطات والسابحات هى النجوم ، والسابقات والمدبرات هى الملائكة ، وأيا ما كانت مدلولاتها فنحن نحس من الحياة فى الجو القرآنى أن إيرادها على هذا النحو ينشىء أولا وقبل كل شىء هزة فى الحس وتوجسا فى الشعور ، وهزة القلب وإيقاظه هدف فى ذاته يتحراه الخطاب القرآنى بوسائل شتى .

والراجفة هى الصيحة الأولى التى ترجف لها الأرض والجبال والأحياء جميعا ، ويصعق لها من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ، والرادفة هى النفخة الثانية التى يصحون عليها ويحشرون ، والقلب البشرى يحس بالزلزلة والرجفة والهول والاضطراب ، ويهتز هزة الخوف والوجل والرعب والارتعاش ، ويتهيأ لإدراك ما يصيب القلوب يومئذ من الفزع الذى لا ثبات معه ولا قرار ، فهو شديد الاضطراب ، بادى الذل ، يجتمع عليه الخوف والانكسار ، والرجفة والانهيار ، وهذا هو الذى يقع يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ، وهذا هو الذى يتناوله القسم بالنازعات غرقا والناشطات نشطا ، والسابحات سبحا ، والسابقات سبقا ، فالمدبرات أمراً .

ثم يمضى السياق يتحدث عن وهلتهم وانبهارهم حين يقومون من قبورهم فى ذهول ، فهم يتساءلون : أنحن مردودون إلى الحياة عائدون فى طريقنا الأولى .. يقال: رجع فى حافرته : أى: فى طريقه التى جاء منها ، فهم فى وهلتهم وذهولهم يسألون : إن كانوا راجعين فى طريقهم إلى حياتهم ، ويدهشون : كيف يكون هذا بعد إذ كانوا عظاما نخرة ، منخوبة يصوت فيها الهواء ؟ !

ولعلهم يفيقون أو يبصرون ، فيعلمون أنها كرة إلى الحياة ، لكنها الحياة الأخرى ، فيشعرون بالخسارة والوبال فى هذه الرجعة ، فتند منهم تلك الكلمة ، كرة لم يحسبوا حسابها ، ولم يقدموا لها زادها ، وليس لهم فيها إلا الخسران الخالص .

وهنا فى مواجهة هذا المشهد يتم التعقيب بحقيقة ما هو كائن ، والزجرة : الصيحة ، ولكنها تقال هنا بهذا اللفظ العنيف تنسيقا لجو المشهد مع مشاهد السورة جميعا ، والساهرة هى : الأرض البيضاء اللامعة ، وهى أرض المحشر ، وهذه الزجرة الواحدة يغلب أنها النفخة الثانية : نفخة البعث والحشر ، والتعبير عنها فيه سرعة ، وهى ذاتها توحى بالسرعة ، وإيقاع السورة كلها فيه هذا اللون من الإسراع والإيجاف ، والقلوب الواجفة تأخذ صفتها هذه من سرعة النبض، وهكذا ذكر الله ـ عز وجل ـ بعد قسمه بمجىء اليوم الآخر ما يحدث فى ذلك اليوم من خوف وذلة للكافرين ، كما ذكر إنكار الكافرين لليوم الآخر ، وبين سهولة خلق ذلك اليوم على الله عز وجل .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ الصالحون جزاؤهم الجنة وما فيها من النعيم المقيم .

٢ ـ العاقل من يغتنم فرصة وجوده فى هذه الحياة ؛ بعمل الخير حتى يفوز بالجنة وينجو من عذاب الجحيم .

٣ ـ الكافرون والعاصون يندمون يوم القيامة حيث لا ينفع الندم .

إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾
فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ
ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ
فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا
﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾
وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾
وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ
ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ
لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ
هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا
﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ
مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾
سُورَةُ عَبَسَ
٥٨٤

معانى الكلمات :

طوى : اسم الوادى المقدس .

طغى : عتا وتجبر .

تزكى : تطهر من الكفر .

نكال : عقوبة .

رفع سمكها : جعل ثخنها مرتفعا جهة العلو .

وأغطش : وأظلم .

دحاها : بسطها .

مرعاها : أقوات الناس والدواب .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم ما كان بين موسى عليه السلام وفرعون ، وما انتهى إليه هذا الطاغية .

٢ ـ أن نستشعر حقيقة التقدير والتدبير فى تصميم هذا الكون الكبير ، واستبعاد المصادفة والجزاف .

٣ ـ أن نعلم أن فى الآخرة تختلف المصائر والعواقب .

المحتوى التربوى :

يعرض السياق ما كان بين موسى وفرعون ، وما انتهى إليه هذا الطاغية عندما طغى ، وقصة موسى هى أكثر القصص وروداً وأكثرها تفصيلا فى القرآن ، وقد وردت من قبل فى سور كثيرة ، وهنا ترد هذه القصة مختصرة سريعة المشاهد منذ أن نودى موسى بالواد المقدس إلى أخذ فرعون، أخذه فى الدنيا ، ثم فى الآخرة ، فتلتقى بموضوع السورة الأصيل وهو حقيقة الآخرة ، وهذا المدى الطويل من القصة يرد هنا فى آيات معدودات قصار سريعة ، وتتضمن عدة حلقات ومشاهد من القصة .

وهى تبدأ بتوجيه الخطاب إلى الرسول ﷺ ويتم السؤال عن سماعه بحديث موسى ، وهو استفهام للتمهيد وإعداد النفس والأذن لتلقى القصة وتمليها ، ثم تأخذ فى عرض الحديث كما

تسمى القصة ، وهو إيحاء بواقعيتها ، فهى حديث جرى ، فتبدأ بمشهد المناداة والمفاجأة ، وطوى اسم الوادى ـ على الأرجح ـ وهو بجانب الطور الأيمن بالنسبة للقادم من مدين فى شمال الحجاز، ونداء الله بذاته ـ سبحانه ـ لعبد من عباده أمر هائل لا يملك الإدراك البشرى أن يحيط منه بشىء.

ومن ثم يبادر السياق بحكاية أمر التكليف الإلهى لموسى ، عقب ذكر النداء بالوادى المقدس طوى ، والطغيان أمر لاينبغى أن يكون ، ولا أن يبقى ، إنه أمر كريه مفسد للأرض ، مخالف لما يحبه الله مؤد إلى ما يكره ، فمن أجل منعه ينتدب الله عبداً من عباده المختارين ، ينتدبه بنفسه سبحانه ليحاول وقف هذا الشر ، ومنع هذا الفساد ، ووقف هذا الطغيان ، إنه أمر كريه شديد الكراهية حتى ليخاطب الله بذاته عبداً من عباده ليذهب إلى الطاغية ، فيحاول رده عما هو فيه ، والإعذار إليه قبل أن يأخذه الله ـ تعالى ـ نكال الآخرة والأولى .

ثم يعلمه الله كيف يخاطب الطاغية بأحب أسلوب ، وأشده جاذبية للقلوب ؛ لعله ينتهى ويتقى غضب الله وأخذه ، فقل : هل لك أن تتطهر من رجس الطغيان ودنس العصيان ؟ هل لك إلى طريق الصلاة والبركة ؟ هل لك أن أعرفك طريق ربك ؟ فإذا عرفته وقعت فى قلبك خشيته ، فما يطغى الإنسان ويعصى إلا حين يذهب عن ربه بعيداً ، وإلا حين يضل طريقه إليه فيقسو قلبه ويفسد ، فيكون منه الطغيان والتمرد ، كان هذا فى مشهد النداء والتكليف ، وكان بعده فى مشهد المواجهة والتبليغ ، ولقد بلغ موسى ما كلف تبليغه بالأسلوب الذى لقنه ربه وعرفه ، ولم يفلح هذا الأسلوب الحبيب فى إلانة القلب الطاغى الخاوى من معرفة ربه ، فأراه موسى الآية الكبرى : آية العصا واليد البيضاء ، وانتهى مشهد اللقاء والتبليغ عند التكذيب والمعصية .

ثم يعرض مشهد فرعون وهو يتولى عن موسى ، ويسعى فى جمع السحرة للمباراة بين السحر والحق حين عز عليه أن يستسلم للحق والهدى ، ثم انطلقت منه الكلمة الوقحة المتطاولة المليئة بالغرور والجهالة ، قالها الطاغية مخدوعا بغفلة جماهيره ، وإذعانها وانقيادها ، وما يمكن أن يطغى فرد فى أمة رشيدة أبداً ، وما جرؤ فرعون على قول هذه الكلمة الكافرة الفاجرة ، ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ إلا بغفلة قومه وتنازلهم عن حقهم فى العزة والكرامة ، وأمام هذا التطاول أخذه الله نكال الآخرة على نكال الأولى ؛ لأنه أشد وأبقى ، ونكال الأولى كان عنيفا قاسيا فكيف بنكال الآخرة وهو أشد وأنكى ؟ والذى يعرف ربه ويخشاه هو الذى يدرك ما فى حادث فرعون من العبرة لسواه ، أما الذى لا يعرف قلبه التقوى فبينه وبين العبرة حاجز .

ويعود إلى المشركين المغترين بقوتهم فيردهم إلى شىء من مظاهر القوة الكبرى فى هذا الكون الذى لا تبلغ قوتهم بالقياس إليه شيئا ، ويسأل فى استفهام لا يحتمل إلا إجابة واحدة بالتسليم الذى لايقبل الجدل ، أأنتم أشد أم السماء؟ السماء بلا جدال ولا كلام ، فما الذى يغركم من قوتكم والسماء أشد خلقا منكم والذى خلقها أشد منها ؟ هذه السماء الأشد خلقا بلا مراء بناها

الله ـ عز وجل ـ والبناء يوحى بالقوة والتماسك ، والسماء كذلك متماسكة لا تختل ولا تخرج من أفلاكها ومداراتها ولا تتهاوى ولا تنهار ، فهى بناء ثابت متماسك الأجزاء ، والسماء مرفوعة فى تناسق وتماسك وهذه هى التسوية ، وجعل الله ـ عز وجل ـ ليلها مظلما أسود حالكا ، ونهارها مضيئا مشرقا نيراً واضحا ، ودحو الأرض تمهيدها وبسط قشرتها ، بحيث تصبح صالحة للسير عليها ، وتكوين تربة صالحة للإنبات وإرساء الجبال وهو نتيجة لاستقرار سطح الأرض ووصول درجة حرارته إلى هذا الاعتدال الذى يسمع بالحياة ، والله أخرج من الأرض ماءها من الينابيع ، أو ما ينزل من السماء فهو أصلا من مائها الذى تبخر ، وأخرج مرعاها وهو النبات الذى يأكله الناس والأنعام وتعيش عليه الأحياء ، وكل أولئك كان بعد بناء السماء وبعد إغطاش الليل وإخراج الضحى ، وكل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التى يأكلونها ويركبونها فى دنياهم .

والحياة الدنيا متاع ، ولكنه ينتهى إلى أجله ، فإذا جاءت الطامة الكبرى غطت كل شىء وطمت على كل شىء ، وعندئذ يتذكر الإنسان سعيه ويستحضره إن كانت أحداث الحياة أنسته إياه ، يتذكر ويستحضر ، ولكن حيث لا يفيده التذكر والاستحضار إلا الحسرة والأسى ، وظهرت الجحيم مكشوفة لكل ذى نظر ، فعندئذ تختلف المصائر والعواقب ، وتتجلى غاية التدبير والتقدير فى النشأة الأولى ، والطغيان وصف لكل من يتجاوز الحق والهدى ويشمل كل متجاوز للهدى ، وكل من آثر الحياة الدنيا واختارها على الآخرة فإن الجحيم المكشوفة هى مأواه يوم الطامة الكبرى .

والذى يخاف مقام ربه وخاف حكم الله فيه، ونهى نفسه عن هواها ، وردها إلى طاعة مولاها، فإن مصيره إلى الجنة الفيحاء ، ويجىء الختام فى ذكر الساعة وكان المتعنتون من المشركين يسألون الرسول ﷺ عن الساعة متى أو أيان موعدها ؟ والجواب : ليس علمها إليك ، بل مردها إلى الله ـ عز وجل ، وأنت مبعوث ؛ لتنذر الناس من عذاب الله ، فمن خشى الله وخاف مقامه اتبعك فأفلح والخيبة على من خالفك ، تنطوى هذه الحياة فى نفوس أصحابها أنفسهم فإذا هى عندهم عشية أو ضحاها .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ الاعتبار بما حدث للسابقين من انتقام جزاء تكذيبهم الرسل وتكبرهم على عبادة الله .

٢ ـ الله ـ تعالى ـ خلق الكون وما فيه ، وهو قادر على بعث الناس بعد موتهم للحساب والجزاء .

٣ ـ أيام الدنيا محدودة بالقياس إلى اليوم الآخر ، فعلى المسلم أن يتزود لهذا اليوم حتى ينجو من عذاب الله ، وينال ثوابه ورضاه .

الجزء الثلاثون — سورة عبس

بسم الله الرحمن الرحيم

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ۝٣ أَوْ
يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۝٦
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ
عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ۝١٢ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ
۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ الْإِنسَانُ
مَا أَكْفَرَهُ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۝١٩ ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۝٢٢ كَلَّا لَمَّا
يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۝٢٣ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا
۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ مَّتَاعًا لَّكُمْ
وَلِأَنْعَامِكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤
وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ
يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ۝٣٩ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝٤٠ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝٤١ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ۝٤٢

٥٨٥

معانى الكلمات :

عبس : قطب وجهه الشريف ﷺ .

يزكى : يتطهر من دنس الجهل .

تصدى : تتعرض له بالإقبال عليه .

تلهى : تتشاغل وتعرض .

سفرة : ملائكة سفراء بين الله ورسله .

وحدائق غلبا : بساتين كثيرة الأشجار .

وأبا : كلأ وعشبا ، أو هو التبن خاصة .

ترهقها قترة : تغشاها ظلمة وسواد .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم الميزان السماوى الذى يقدر به عمل الإنسان .

٢ ـ أن نتعرف على نعم الله على الإنسان فى نفسه ، وطعامه ، وشرابه .

٣ ـ أن نستشعر يوم الصاخة وما فيه من أهوال .

المحتوى التربوى :

إن هذا التوجيه الذى نزل بشأن هذا الحادث هو أمر عظيم جداً ، أعظم بكثير مما يبدو لأول وهلة ، إنه معجزة، هو الحقيقة التى أراد إقرارها فى الأرض ، والآثار التى ترتبت على إقرارها فى حياة البشرية، وهذه الحقيقة ليست مجرد : كيف يعامل فرد من الناس ، أو كيف يعامل صنف من الناس ؟ إنها هى أبعد من هذا جداً ، وأعظم من هذا جداً ، إنها : كيف يزن الناس كل أمور الحياة ؟ ومن أين يستمدون القيم التى يزنون بها ويقدرون ؟ والحقيقة التى استهدف هذا التوجيه إقرارها هى : أن يستمد الناس فى الأرض قيمهم وموازينهم من اعتبارات سماوية إلهية بحتة ، آتية لهم من السماء وهو أمر عظيم جداً ، كما أنه أمر عسير جداً ، عسير أن يعيش الناس فى الأرض بقيم وموازين آتية من السماء، مطلقة من اعتبارات الأرض، ويجىء هذا الحادث ؛ لتقرير هذه القيمة ، وليقرر معها المبدأ الأساس : وهو أن الميزان ميزان السماء والقيمة قيمة السماء ،

وعلى الأمة المسلمة أن تدع كل ما تعارف عليه الناس ؛ لتستمد القيم من السماء وحدها وتزنها بميزان السماء .

ويجيء الرجل الأعمى الفقير ابن أم مكتوم إلى رسول الله ﷺ وهو مشغول بأمر النفر من سادة قريش ، والرسول يدعوهم إلى الإسلام ، يجيء هذا الرجل الأعمى الفقير إلى رسول الله ﷺ وهو مشغول بأمر هؤلاء النفر لا لنفسه ولا لمصلحته ولكن للإسلام ولمصلحة الإسلام ، يجيء هذا الرجل فيقول لرسول الله : يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وهو لا يعلم تشاغل الرسول بما هو فيه من الأمر ، فيكره الرسول قطعه لكلامه واهتمامه ، وتظهر الكراهية فى وجهه الذى لا يراه الرجل فيعبس ويعرض ، وهنا تتدخل السماء لتقول كلمة الفصل فى هذا الأمر ؛ ولتقرر الميزان الذى توزن فيه القيم بغض النظر عن جميع الملابسات والاعتبارات بما فى ذلك اعتبار مصلحة الدعوة كما يراها البشر ، بل كما يراها سيد البشر .

وهنا يجيء العتاب من الله ـ العلى الأعلى ـ لنبيه الكريم ، صاحب الخلق العظيم فى أسلوب عنيف شديد ، وللمرة الوحيدة فى القرآن كله يقال للرسول الحبيب القريب : كلا ، ويأتى أسلوب العتاب فريداً بصيغة الحكاية عن أحد آخر غائب غير المخاطب ، وفى هذا الأسلوب إيحاء بأن الأمر موضوع الحديث من الكراهة عند الله بحيث لا يحب سبحانه ـ أن يواجه به نبيه وحبيبه ، عطفا عليه ورحمة به ، وإكراما له عن المواجهة بهذا الأمر الكريه ، ثم يستدير العتاب فى صيغة الخطاب ، فيبدأ هادئا شيئا ما ، فما يدريك أن يتحقق هذا الخير الكبير أن يتطهر هذا الرجل الأعمى الفقير الراغب فى الخير ، وأن يتيقظ قلبه ، فيتذكر فتنفعه الذكرى ، ما يدريك أن يشرق هذا القلب بقبس من نور الله .

ثم تعلو نبرة العتاب وينتقل السياق إلى التعجيب من ذلك الفعل محل العتاب ؛ فأما من أظهر الاستغناء عنك وعن دينك وعما عندك من الهدى والخير والنور والطهارة ، أما هذا فأنت تتصدى له وتحفل أمره ، وتجهد لهدايته ، وتتعرض له وهو عنك معرض ، وما يضيرك أن يظل فى دنسه ؟ وأنت لا تسأل عن دنسه ، والذى يقصدك ليهتدى بما تقول له ، فأنت تتشاغل عنه ، كلا فهذا لا يكون أبداً ، والدعوة كريمة فى حقيقتها كريمة فى كل اعتبار ، كريمة فى صحفها المرفوعة المطهرة الموكل بها السفراء من الملأ الأعلى ينقلونها إلى المختارين فى الأرض ليبلغوها ، وهم كذلك كرام بررة .

ثم يجيء الحديث عن أمر هذا الإنسان الذى يعرض عن الهدى ، ويستغنى عن الإيمان ، ويستعلى على الدعوة إلى ربه ، وإنه ليستحق القتل على عجيب تصرفه ، فما أشد كفره ونكرانه لمقتضيات نشأته وخلقته ، ولو رعى هذه المقتضيات لشكر خالقه ولتواضع فى دنياه ، ولذكر آخرته ، وإلا فعلام يتكبر ويعرض ؟ وما هو أصله ومبدؤه ؟ إنه أصل متواضع يستمد كل قيمته من فضل الله ونعمته خلقه من النطفة ، وارتفع به من ذلك الأصل المتواضع ، ومهد له سبيل الحياة وخروجه من بطن أمه ، وأمره فى نهايته كأمره فى بدايته فى يد الله ، وجعل مثواه فى جوف

الأرض كرامة له ورعاية،حتى إذا حان الموعد الذى قدره الله أعاده إلى الحياة لما يراد به من الأمر، والإنسان عامة مقصر ، لم يؤد واجبه ، لم يقض هذه الرحلة على الأرض فى الاستعداد ليوم الحساب والجزاء .

وينتقل السياق إلى لمسة أخرى تلمس طعام الإنسان فما قصته وهل له من يد فيها ؟ فلينظر الإنسان إلى طعامه،إلى هذا الأمر الميسر الضرورى الحاضر المكرر،لينظر إلى قصته ، فصب الماء فى صورة المطر حقيقة يعرفها كل إنسان فى كل بيئة ، وهذا المطر يسكن الأرض فيدخل فى تخومها ، ويتخلل فى أجزاء الحب المودع فيها ، فينبت ويرتفع ويظهر على وجه الأرض ، والحب كل ما يذكر من الحبوب ، والعنب معروف ، والقضب هو : كل ما يؤكل رطبًا غضًا من الخضر التى تقطع مرة بعد أخرى كل ما يؤكل رطبًا غضًا من الخضر التى تقطع مرة بعد أخرى ، والزيتون والنخل معروفان ، وحدائق ذات أشجار مثمرة مسورة بحوائط تحميها ، وهى بساتين ضخمة عظيمة ملتفة الأشجار، والفاكهة من ثمار الأشجار، والأب : أغلب الظن أنه الذى ترعاه الأنعام ، وهذا عيشه لكم ولأنعامكم فى هذه الدار إلى يوم القيامة ، ثم يكون بعد ذلك أمر آخر يعقب المتاع ، أمر يجدر بالإنسان أن يتدبره قبل أن يجىء .

وتختم السورة بمشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به ؛ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه أولئك الذين تربطهم به وشائج وروابط لا تنفصم ؛ ولكن هذه الصاخة تمزق هذه الروابط تمزيقا وتقطع تلك الوشائج تقطيعا ،فلكل نفسه وشأنه ولديه الكفاية من الهم الخاص به ، الذى لا يدع له فضلة من وعى أو جهد ، ذلك حال الخلق جميعا فى هول ذلك اليوم ، إذا جاءت الصاخة .

ثم يأخذ فى تصوير حال المؤمنين وحال الكافرين ، بعد تقويمهم ووزنهم بميزان الله هناك ؛ فهذه وجوه مستنيرة منيرة متهللة ضاحكة مستبشرة ، راجية فى ربها مطمئنة بما تستشعره من رضاه عنها ، فهى تنجو من هول الصاخة المذهل لتتهلل وتستنير وتضحك وتستبشر ، أو هى قد عرفت مصيرها فاستبشرت ، وأما وجوه الكافرين فتعلوها غبرة الحزن والحسرة ويغشاها سواد الذل ، وقد عرفت ما قدمت ، فاستيقنت ما ينتظرها من جزاء ، وهؤلاء هم الذين لا يؤمنون بالله وبرسالاته ، والذين خرجوا عن حدوده وانتهكوا حرماته .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ الحرص على طلب العلم مهما كانت الصعوبات ، والاهتمام بطلاب العلم وعدم الإعراض عنهم .

٢ ـ على الإنسان أن يتذكر نعم الله عليه ، ويشكر الله عليها بطاعته .

٣ ـ فى يوم القيامة شدائد وأهوال تجعل الإنسان لا ينشغل إلا بنفسه ، فعلى المسلم أن يتزود لهذا اليوم وخير الزاد التقوى .

سُورَةُ التَّكْوِيرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ
﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا
الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ
﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ
أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾
الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ
ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ
﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾
فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن
يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الانفطار

٥٨٦

معانى الكلمات :

كورت : أزيل ضياؤها أو طويت .

انكدرت : تساقطت وتهاوت .

سيرت : أزيلت عن مواضعها .

العشار عطلت : النوق الحوامل أهملت بلا راع .

حشرت : جمعت من كل صوب .

سجرت : أوقدت فصارت ناراً تضطرم .

كشطت : قلعت كما يقلع السقف .

الكنس : التى تختفى وقت غروبها .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على مشاهد الانقلاب الكونى كما جاءت به الآيات .

٢ ـ أن نعلم حقيقة الوحى والرسالة وصفات النبى الذى يتلقى ذلك الوحى .

٣ ـ أن نعلم بطلان مزاعم المشركين حول القرآن الكريم ، وأنه ذكر للعالمين .

المحتوى التربوى :

هذه السورة ذات مقطعين اثنين تعالج فى كل مقطع منها تقرير حقيقة ضخمة من حقائق العقيدة :

الأولى : حقيقة القيامة ، وما يصاحبها من انقلاب كونى هائل كامل ، يشمل الشمس والنجوم والجبال والبحار والأرض والسماء ، والأنعام والوحوش كما يشمل بنى الإنسان .

والثانية : حقيقة الوحى، وما يتعلق بها من صفة الملك الذى يحمله، وصفة النبى الذى يتلقاه، ثم شأن القوم المخاطبين بهذا الوحى معه ، ومع المشيئة الكبرى التى فطرتهم ونزلت لهم الوحى .

ويبدأ السياق بمشهد الانقلاب التام لكل معهود والثورة الشاملة لكل موجود ، الانقلاب الذى يشمل الأجرام السماوية والأرضية ، والوحوش النافرة ، والأنعام الأليفة ، ونفوس البشر

وأوضاع الأمور ، حيث ينكشف كل مستور ويعلم كل مجهول ، وتقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد فى موقف الفصل والحساب ، وكل شىء من حولها عاصف ، وكل شىء من حولها مقلوب .

يقول صاحب الظلال : « إن هذا الكون سينفرط عقد نظامه ، وتتناثر أجزاؤه ، وتذهب عنه صفاته هذه التى يقوم بها ، وينتهى إلى أجله المقدر حيث تنتهى الخلائق إلى صورة أخرى من الكون ومن الحياة ومن الحقائق غير ما عهدت نهائيا فى هذا الكون المعهود ، وهذا ما تستهدف السورة إقراره فى المشاعر والقلوب كى تنفصل من هذه المظاهر الزائلة ـ مهما بدت ثابتة ـ وتتصل بالحقيقة الباقية . .. حقيقة الله الذى لا يحول ولا يزول ، حين يحول كل شىء من الحوادث ويزول ... » .

إن تكوير الشمس قد يعنى برودتها وانطفاء شعلتها ، وانكماش ألسنتها الملتهبة ، قد يكون هذا وقد يكون غيره ، أما كيف يقع ؟ والعوامل التى تسبب وقوعه ؟ فعلم ذلك عند الله ، وانكدار النجوم قد يكون معناه انتثارها من هذا النظام الذى يربطها ، وانطفاء شعلتها وانظلام ضوئها ، وتسيير الجبال قد يكون معناه نسفها وبسها وتذريتها فى الهواء ، والعشار هى النوق الحبالى فى شهرها العاشر ، ففى هذا اليوم الذى تقع فيه هذه الأهوال تهمل هذه العشار وتعطل فلا تصبح لها قيمة ، ولا يهتم بشأنها أحد ، وهذه الوحوش النافرة قد هالها الرعب والهول فحشرت وانزوت تتجمع من الهول هى الشاردة فى الشعاب ، ونسيت مخاوفها بعضها من بعض كما نسيت فرائسها ، وأما تسجير البحار فقد يكون ملؤها بالمياه ، وإما أن يكون معناه التهابها وانفجارها ، وتزويج النفوس يحتمل أن يكون جمع الأرواح بأجسادها بعد إعادة إنشائها ، ويحتمل أن يكون ضم كل جماعة من الأرواح المتجانسة فى مجموعة .

وقد كان من هوان النفس الإنسانية أن فى الجاهلية انتشرت عادة وأد البنات خوف العار أو خوف الفقر ، وكان الوأد يتم فى صورة قاسية إذ كانت البنت تدفن حية ، وكانوا يتفننون فى هذا بشتى الطرق ، فأما الذين لا يئدون البنات فكانت لهم وسائل أخرى لإذاقتها الخسف والبخس حتى جاء الإسلام يشنع بهذه العادات ويقبحها ، وينهى عن الوأد ويغلظ فعلته ويقول . إن الموءودة ستسأل عن وأدها فكيف بوائدها ؟ !

وصحف الأعمال ونشرها يفيد كشفها ومعرفتها فلا تعود خافية ولا غامضة ، وهذه العلنية أشد على النفوس وأنكى ، فكم من سوأة مستورة يخجل صاحبها ذاته من ذكراها ، ثم إذا هى جميعها فى ذلك اليوم منشورة مشهورة ، وهذا النشر لون من ألوان الهول فى ذلك اليوم ، ثم تجىء الخطوة الأخيرة فى مشاهد ذلك اليوم الهائل المرهوب ؛ حيث تتوقد الجحيم وتتسعر ، ويزداد لهيبها وحرارتها ، وحيث تقرب الجنة وتظهر لروادها الموعودين بها ، وتبدو لهم سهولة مدخلها ، ويسر ولوجها ، وعندئذ لا يبقى لدى النفوس شك فى حقيقة ما عملت ، وما تزودت به لهذا

اليوم ، وما حملت معها للعرض ،و ما أحضرت للحساب ، وكل نفس تعلم فى هذا اليوم الهائل ما معها وما لها وما عليها ، تعلم وهى لا تملك أن تغير شيئا مما أحضرت ولا أن تزيد عليه ولا أن تنقص منه .

ثم يجيء المقطع الثانى فى السورة يبدأ بالقسم بمشاهد كونية جميلة؛ القسم على طبيعة الوحى، وصفة الرسول الذى يحمله ، والرسول الذى يتلقاه ، وموقف التابعين حياله وفق مشيئة الله ، فيقسم الله تعالى بالكواكب التى تخنس أى ترجع فى دورتها الفلكية وتجرى وتختفى ، وبالليل إذا أظلم والصبح حين يتنفس ، أنفاسه النور والحياة والحركة التى تدب فى كل حى ـ بصدق الحقيقة التى يدعى الإنسان إليها وهى : هذا القرآن وهذا الوصف لليوم الآخر لقول رسول كريم وهو جبريل الذى حمل هذا القول وأبلغه ، فصار قوله باعتبار تبليغه ، ويذكر صفة هذا الرسول الذى اختبر لحمل هذا القول وإبلاغه بأنه كريم عند ربه ، قوى مما يوحى بأن هذا القول يحتاج فى حمله إلى قوة ، وفى مقامه ومكانته عند ربه عند ذى العرش الأعلى ، مطاع هناك فى الملأ الأعلى ، أمين على ما يحمل وما يبلغ ، وهذه صفة الرسول جبريل الذى حمل القول وأداه .

فأما الرسول الذى حمله إليكم فهو صاحبكم عرفتموه حق المعرفة عمراً طويلا ، فما لكم حين جاءكم بالحق تقولون فيه ما تقولون ، ولقد قالوا عنه : إن لمجنون وإن شيطانا عليه يتنزل بما يقول ، فجاء القرآن يحدثهم بأن القرآن صادر عن الله سبحانه ، والذى رأى الرسول الكريم جبريل حق الرؤية ، بالأفق المبين الواضح الذى تتم فيه الرؤية عن يقين ، وأنه ﷺ لمؤتمن على الغيب ، لا تظن به الظنون فى خبره . الذى يرويه عنه ، والشياطين لا توحى بهذا النهج القويم ، ويسألهم مستنكراً : أين تذهبون فى حكمكم وقولكم أو أين تذهبون منصرفين عن الحق وهو يواجهكم أينما ذهبتم ، وما هو إلا ذكر يذكر بحقيقة وجودهم .

وأمام هذا البيان يذكرهم أن طريق الهداية ميسر لمن يريد، وأنهم إذن مسؤولون عن أنفسهم ، وقد منحهم الله هذا التيسير ، فمن أراد الهداية فعليه بالقرآن ، فإنه منجاة له وهداية ولا هداية فيما سواه ، وليست المشيئة موكولة إليكم ، ولا منفصلة عن المشيئة الكبرى ، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ قدرة الله تعالى لا يحدها حد ، وكل إنسان يطلع على عمله يوم القيامة ويحاسب عليه .

٢ ـ ليست الدنيا مقراً دائما ، بل هى ممر وطريق للآخرة .

٣ ـ القرآن الكريم تذكرة وعبرة لمن أراد أن يهتدى إلى الطريق المستقيم ، ومن أراد الهداية وفقه الله وأعانه عليه .

سورة الانفطار

معانى الكلمات :

انفطرت : انشقت .

انتثرت : تساقطت متفرقة .

فجرت : شققت جوانبها فصارت بحراً واحداً .

بعثرت : قلب ترابها وأخرج موتاها .

فعدلك : جعلك معتدلا متناسب الخلق .

للمطففين : المنقصين فى الكيل ومثله الوزن .

اكتالوا : اشتروا بالكيل مثله الوزن .

يخسرون ينقصون الكيل والوزن .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على مشاهد القيامة كما وردت فى السورة .

٢ ـ أن نعلم أسباب جحود الإنسان ونتائجه .

٣ ـ أن نستشعر الترغيب والترهيب الوارد فى الآيات الكريمات

المحتوى التربوى :

تتحدث السورة عن الانقلاب الكونى وتختصر فى مشاهده ، فلا تكون هى طابع السورة الغالب ، فيذكر مظاهر الانقلاب ، انفطار السماء أى انشقاقها ، فانشقاق السماء حقيقة من حقائق ذلك اليوم العصيب ، ويشارك فى تكوين هذا المشهد ما يذكر عن انتثار الكواكب بعد تماسكها هذا الذى تجرى معه فى أفلاكها بسرعات هائلة مرعبة ، وهى ممسكة فى داخل مداراتها لا تتعداها ، ولا تهيم على وجهها فى هذا الفضاء الذى لا يعلم له أحد نهاية ، وتفجير البحار يحتمل أن يكون هو امتلاؤها وطغيانها على الأنهار ، كما يحتمل أن هو تفجير مائها إلى عنصرية : الأكسجين والهيدروجين ، كذلك يحتمل أن يكون هو تفجير ذرات هذين الغازين ، أو أن يكون

بهيئة أخرى غير ما يعرف البشر على كل حال ، وبعثر القبور ، فتخرج منها الأجساد والتى أعاد الله إنشائها كما أنشأها أول مرة لتتلقى حسابها وجزاءها .

وبعد هذا المطلع الموقظ المنبه للحواس والمشاعر والعقول والضمائر يلتفت إلى واقع الإنسان الحاضر ، فإذا هو غافل لاه سادر ، وهنا يلمس قلبه لمسة فيها عتاب رضى ، وفيها وعيد خفى ، وفيها تذكير بنعمة الله الأولى عليه : نعمة خلقه فى هذه الصورة السوية على حين يملك ربه أن يركبه فى أى صورة تتجه إليها مشيئته ، ولكنه اختار له هذه الصورة السوية المعتدلة الجميلة ، وهو لا يشكر ولا يقدر ، فينادى فى الإنسان أكرم ما فى كيانه ، وهو إنسانيته التى بها تميز عن سائر الأحياء ، ثم يعقبه ذلك العتاب الجميل الجليل ؛ يا أيها الإنسان ما الذى غرك بربك فجعلك تقصر فى حقه ، وتتهاون فى أمره ، وهو ربك الكريم الذى أغدق عليك من كرمه وفضله وبره .

ثم يفصل شيئا من هذا الكرم الإلهى المغدق على الإنسان المتمثل فى إنسانيته التى ناداه بها ، فيشير إلى خلقه وتسويته وتعديله ، وهو القادر على أن يركبه فى أى صورة وفق مشيئته ، وخلق الإنسان على هذه الصورة الجميلة أمر يستحق التدبر الطويل ، والشكر العميق ، والأدب الجم ، والحب لربه الكريم الذى أكرمه بهذه الخلقة ، تفضلاً منه ورعاية ومنة .

ثم يكشف عن علة الغرور والتقصير ـ وهى التكذيب بيوم الحساب ـ ويقرر حقيقة الحساب، واختلاف الجزاء فى توكيد وتشديد ؛ فما يكذب القلب بالحساب والجزاء ثم يستقيم على هدى ولا خير ولا طاعة ، وقد ترتفع القلوب وتشف فتطيع ربها وتعبده حبًا فيه لا خوفًا من عقابه ولا طمعًا فى ثوابه ، ولكنها تؤمن بيوم الدين وتخشاه ، وأما حين يكذب الإنسان بهذا اليوم فلن يشتمل على طاعة ولا أدب ولن يحيا فيه قلب ، ولن يستيقظ فيه ضمير ، وكيف تكذبون بيوم الدين ، وأنتم صائرون إليه وكل ما عملتم محسوب عليكم فيه لا يضيع منه شئ ، ولا ينسى منه شئ ، وهؤلاء الحافظون هم الأرواح الموكلة بالإنسان ـ من الملائكة ـ التى ترافقه وتراقبه ، وتحصى عليه كل ما يصدر عنه ، ويكفى أن يشعر القلب البشرى أنه غير متروك سدى ، وأن عليه حفظة كراما كاتبين يعلمون ما يفعله ليرتعش ويستيقظ ويتأدب ، وهذا هو المقصود .

ثم يقرر مصير الأبرار ومصير الفجار بعد الحساب ، القائم على ما يكتبه الكرام الكاتبون ، وهو مصير مؤكد ، وعاقبة مقررة أينتهى الأبرار إلى النعيم ، وأن ينتهى الفجار إلى الجحيم ، ويزيد حال الفجار ظهوراً فهو سيدخلون الجحيم يوم القيامة ولا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يجابون إلى مايسألون من الموت أو الراحة ، ولما كان يوم الدين هو موضع التكذيب ، فإنه يعود إليه بعد تقرير ما يقع فيه ، والسؤال يوقع فى الحس أن

الأمر أعظم جداً وأهول جداً من أن يحيط به إدراك البشر المحدود ، فهو فوق كل تصور ، وفوق كل توقع وفوق كل مألوف .

وتكرار السؤال يزيد فى الاستهوال ، ويجىء البيان بالعجز الشامل وهو الشكل الكامل للإنسان ويتفرد الله سبحانه وهو المتفرد بالأمر فى الدنيا والآخرة ، ولكن فى هذا اليوم ـ يوم الدين تتجلى هذه الحقيقة التى قد يغفل عنها فى الدنيا الغافلون المغرورون ، فلا يعود بها خفاء ، ولا تغيب عن مخدوع ولا مفتون .

سورة المطففين

هذه السورة تصور قطاعا من الواقع العملى الذى كانت الدعوة تواجهه فى مكة إلى جانب ما كانت تستهدفه من إيقاظ القلوب ، وهز المشاعر وتوجيهها إلى الرسالة السماوية للأرض ، وتبدأ السورة بالحرب يعلنها الله على المطففين ، والويل هو الهلاك ، والمطففون هم الذين يتقاضون بضاعتهم وافية إذا كانوا شراة ، ويعطونها للناس ناقصة إذا كانوا بائعين ، وهو أمر عجيب أمر هؤلاء المطففين الذين يتصرفون كأنه ليس هناك حساب على ما يكسبون فى الحياة الدنيا ، وكأنه ليس هناك موقف جامع بين يدى الله فى يوم عظيم يتم فيه الحساب والجزاء أمام العالمين .

يقول صاحب **الظلال** : « هذه اللفتة ـ وهى التصدى لشأن المطففين ـ فى البيئة المكية تشى بطبيعة هذا الدين ؛ وشمول منهجه للحياة الواقعية وشؤونها العملية ، وإقامتها على الأساس الأخلاقى العميق الأصيل فى طبيعة هذا المنهج الإلهى القويم ، فقد كره هذه الحالة الصارخة من الظلم والإشراف الأخلاقى فى التعامل ، وهو لم يتسلم بعد زمام الحياة الاجتماعية ، لينظمها وفق شريعته بقوة القانون وسلطان الدولة ، وأرسل هذه الصيحة المدوية بالحرب والويل على المطففين ، وهم يومئذ سادة مكة ... فكان الإسلام بهذه الصيحة المنبعثة من ذاته ومن منهجه السماوى موقظا للجماهير المستغلة ، ولم يكن قط محذراً لها حتى وهو محاصر فى مكة بسطوة المتجبرين ، ومن ثم ندرك طرفا من الأسباب الحقيقة التى جعلت كبراء قريش يقفون فى وجه الدعوة .. ؛ لقد كانوا يدركون أن هذه العقيدة منهجا يحطم كل أساس الجاهلية ...

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ كل إنسان معه ملائكة يسجلون أعماله ، ليحاسب عليها يوم القيامة .

٢ ـ المؤمنون الصالحون يتمتعون بنعيم الجنة ، والفجار المفسدون يعذبون فى نار الجحيم ، ولا يخرجون منها أبداً.

٣ ـ على المسلم أن يكون عادلا فى كيله ووزنه ، فلا يظلم أحداً فى بيع أو شراء .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ (٧) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَٰبٌ
مَّرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (١١)
وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ
هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (١٧) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ
(١٨) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
(٢١) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِى
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥)
خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُۥ
مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ
أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ
يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ (٣١)
وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (٣٢) وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ
حَٰفِظِينَ (٣٣) فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤)

معانى الكلمات :

لفى سجين : لمثبت فى ديوان الشر .

مرقوم : واضح الكتابة لا ينسى ولا يمحى .

معتد : فاجر متجاوز عن نهج الحق .

ران : غلب أو طبع عليها .

لصالوا : لداخلوها .

لفى عليين : لمثبت فى ديوان الخير .

نضرة النعيم : بهجته .

مزاجه : ما يمزج به ويخلط .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على وصف الفجار وحصيدهم ، ووصف الأبرار وجزائهم .

٢ ـ أن نعلم ما يلاقيه الأبرار من أذى الفجار فى الدنيا .

٣ ـ أن نعلم عاقبة كلا الفريقين .

المحتوى التربوى :

القرآن الكريم يردع الفجار عن التكذيب بيوم الدين ويزجرهم ، ويؤكد لهم أن لهم كتابا تحصى فيه أعمالهم ويحدد موضعه زيادة فى التوكيد ، ويوعدهم بالويل فى ذلك اليوم الذى يعرض فيه كتابهم المرقوم، والفجار هم المتجاوزون للحد فى المعصية والإثم، وكتابهم هو سجل أعمالهم، لا ندرى نحن ماهية ولم تكلف هذا ، فهناك سجل لأعمال الفجار يقول القرآن : إنه فى سجين، ثم يسأل سؤال الاستهوال المعهود فى التعبير القرآنى، فيشعر المخاطب أن الأمر أكبر من إدراكه، وأضخم من أن يحيط به علمه ، ولكنه قد حدد له موضعا معينا وإن يكن مجهولا للإنسان .

ثم يعود إلى وصف كتاب الفجار ذاك فيقول أنه مفروغ منه ، لا يزاد فيه ولا ينقص منه ، حتى يعرض فى ذلك اليوم العظيم ، فإذا كان ذلك فالهلاك والدمار للمكذبين ، ويحدد موضوع

التكذيب وحقيقة المكذبين ؛ فالاعتداء والإثم يقودان صاحبهما إلى التكذيب بذلك اليوم ، وإلى سوء الأدب مع هذا القرآن فيقول عن آياته حين تتلى عليه أنها مفتعلة مجموعة من كتب الأوائل، ثم يكشف عن علة هذا التطاول والتكذيب ، وهذه الغفلة عن الحق الواضح، فقد حجبت قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذى قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا، والقلب الذى يمرد على المعصية ينطمس يظلم ، ويفقد الحساسية شيئا فشيئا حتى يتبلد ويموت.

ثم يذكر شيئا عن مصيرهم فى ذلك اليوم العظيم يناسب علة الفجور والتكذيب ؛ فقد حجبت قلوبهم المعاصي والآثام ، حجتها عن افحساس بربها فى الدنيا ، والنهاية الطبيعية والجزاء الوفاق فى الآخرة أن يحرموا النظر إلى وجه الله الكريم ، وأن يحال بينهم وبين هذه السعادة الكبرى التى لا تتاح إلا لمن شقت روحه ورقت وصفت ، واستحقت أن تكشف الحجب بينها وبين ربها ، ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الحرمان من أهل النيران ، ومع الجحيم التأنيب وهو من أمر الجحيم ، ويقال لهم : هذا الذى كنتم به تكذبون فى الدنيا .

ثم يعرض فى الصفحة الأخرى ، صفحة الأبرار على العهد بطريقة القرآن فى عرض الصفحتين متقابلتين فى الغالب ، وكلمة كلا تجئ فى صدر هذا المقطع زجراً عما ذكر قبله من التكذيب ، ويبدأ الحديث عن الأبرار فى حزم وفى توكيد ، فكتاب الأبرار عليين ، والأبرار هم : الطائعون الفاعلون كل خير ، ولفظ عليين يوحى بالعلو والارتفاع ، ويتم التعقيب بسؤال التجهيل والتهويل مما يوحى بأن عليين هو أمر فوة العلم والإدراك ، وكتاب الأبرار مرقوم لا يزاد فيه ولا ينقص منه فهو مفروغ منه ، والملائكة المقربون يشهدون هذا الكتاب ويرونه .

ثم يذكر حال الأبرار أنفسهم أصحاب هذا الكتاب الكريم ، ويصف ما هم فيه من نعيم فى ذلك اليوم العظيم ؛ فالأبرار فى موضع التكريم ، ينظرون حيث يشاؤون ، لا يغضون من مهانة ، ولا يشغلون عن النظر من مشقة ، وهم على الأرائك وهى الأسرة فى الحجال ، وأقرب ما يمثلها عندنا ما نسميه الناموسية ، وهى على أية حال أعلى من كل ما يعهده الإنسان مما يستمده من تجاربه فى الأرض وتصوراته ، وهم فى النعيم ناعمو النفوس والأجسام ، تفيض النضرة على وجوههم وملامحهم حتى ليراها كل راء .

وهم يسقون من خمر الجنة والرحيق من أسمائها ، وهو الشراب الخالص المصفى الذى لا غش فيه ولا كدرة ، ووصفه بأنه مختوم ختامه مسك ، قد يفيد أنه معد فى أوانيه ، وأن هذه الأوانى مقفلة مختومة ، تفض عند الشراب ، وهذا يلقى ظل الصيانة والعناية ، كما أن جعل الختم من المسك فيه أناقة ورفاهية ، وهذا الرحيق المختوم يفض ختامه ثم يمزج بشئ من هذه العين المسماه « تسنيم » التى يشرب بها المقربون ، وقيل أن يجئ بهذا الوصف يلقى بهذا التوجيه توجيه المنافسة إلى الخير ، فما فى هذا العرض الزهيد من مال أو متاع من متاع الأرض ينبغى التنافس ،

إنما يكون التنافس فى ذلك النعيم وفى ذلك التكريم ، وهو مطلب يستحق المنافسة ، وهى غاية تستحق الغلاب ، والدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة ، ولكن الآخرة ثقيلة فى ميزانه .

يقول صاحب الظلال : « ومن عجب أن التنافس فى أمر الآخرة يرتفع بأرواح المتنافسين جميعا ، بينما التنافس فى أمر الدنيا ينحط بها جميعا ، والسعى لنعيم الآخرة يصلح الأرض ويعمرها ويطرها للجميع ، والسعى لعرض الدنيا يدع الأرض مستنقعا وبيئا تأكل فيه الديدان بعضها البعض ، أو تنهش فيه الهوام والحشرات جلود الأبرار الطيبين ، والتنافس فى نعيم الآخرة لا يدع الأرض خرابا بلقعا كما قد يتصور بعض المنحرفين ، إنما يجعل الدنيا مزرعة الآخرة، ويجعل القيام بخلافة الأرض بالعمار مع الصلاح والتقوى وظيفة المؤمن الحق على أن يتوجه بهذه الخلافة إلى الله ، ويجعل منها عبادة له تحقق غاية وجوده » .

وكأنما أطال السياق فى عرض صور النعيم الذى ينتظر الأبرار ؛ تمهيداً للحديث عما كانوا يلقون فى الأرض من الفجار من أذى واستهزاء وتطاول وادعاء ، وقد أطال كذلك ليختمه بالسخرية من الكفار وهم يشهدون نعيم الأبرار ، فالذين أجرموا كانوا يضحكون من الذين آمنوا استهزاء بهم ، وسخرية منهم ؛ إما لفقرهم ورثاثة حالهم ، وإما لضعفهم عن ود الأذى ، وإما لترفعهم عن سفاهة السفهاء ، وهم يتخذون المؤمنين مادة لسخريتهم أو فكاهتهم وهم يسلطون عليهم الأذى ثم يضحكون مما يصيب المؤمنين وهم صابرون ، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم ، بأعينهم أو يشيرون بأيديهم ، أو بحركة متعارفة بينهم للسخرية من المؤمنين ، وإذا رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم رجعوا راضين عن أنفسهم ، مبتهجين بما فعلوا ، مستمتعين بهذا الشر الصغير الحقير ، فلم يتلاوموا ولم يندموا ، ولم يشعروا بحقارة ما صنعوا وقذارة ما فعلوا ، ولا أعجب من أن يتحدث المجرمون عن الهدى والضلال ، وأن يزعموا أن المؤمنين ضالون ، وما وكلوا بشأن المؤمنين فلم اشتغلوا بهم ؟ فاليوم والكفار يقاسون العذاب والمؤمنون يضحكون عليهم فى مقابلة ضحكهم فى الدنيا ، وفرق بين ضحك لحظات ، وضحك مكين فى عيشة لا تنقطع .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ أعمال الناس تسجل عليهم فى كتب لا تزول ولا تمحى .

٢ ـ المؤمنون يرون الله فى الآخرة ، والفجار يعاقبون بالحرمان من هذه الرؤية ، ويدخلون الجحيم ، فأولى بالمسلم أن يجعل أنفاسه لله .

٣ ـ الجزاء فى الآخرة على أعمال الدنيا جزاء عادلا ولا ظلم فيه ، فعلى المسلم أن يتمسك بعقيدته وإن اليوم عليه، فله كل ما بعده .

عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾
سُورَةُ الْانشِقَاقِ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ
إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ
يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ
﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾
٥٨٩

معانى الكلمات :

ثوب : جوزوا .

أذنت : استمعت .

حقت : حق الله عليها الاستماع .

مدت : بسطت وسويت .

وتخلت : خلت عنه .

لن يحور : لن يرجع إلى ربه .

وسق : جمع .

اتسق : تكامل نوره .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر طابع الاستسلام لله ، استسلام السماء واستسلام الأرض فى طواعية .

٢ ـ أن نعلم مصائر الكادحين عندما يصلون إلى نهاية الطريق .

٣ ـ أن نعلم علة الكفر وعاقبته وعاقبة الإيمان .

المحتوى التربوى :

يوضح السياق أن يوم القيامة يضحك الذين آمنوا من الكفار وهم على الأرائك ينظرون فى ذلك النعيم المقيم ، وهم يتناولون الرحيق المختوم بالمسك الممزوج بالتسنيم ، والقرآن يتوجه بالسخرية العالية مرة أخرى وهو يسأل : هل وجد الكفار ثواب ما فعلوا ؟ وهم لم يجدوا « الثواب » المعروف من الكلمة ، فنحن نشهدهم اللحظة فى الجحيم ، ولكنهم من غير شك لاقوا جزاء ما فعلوا .

يقول صاحب الظلال : « لقد كان القرآن ينشئ قلوبا يعدها لحمل الأمانة ، وهذه القلوب كان يجب أن تكون من الصلابة والقوة والتجرد ، بحيث لا تتطلع ـ وهى تبذل كل شىء وتحتمل كل شىء ـ إلى شىء فى هذه الأرض ، ولا تنتظر إلا الآخرة ، ولا ترجو إلا رضوان الله ، قلوبا

مستعدة لقطع رحلة الأرض كلها فى نصب وشقاء وحرمان وعذاب وتضحية واحتمال بلا جزاء فى هذه الأرض قريب ، ولو كان هذا الجزاء هو انتصار الدعوة وغلبة الإسلام وظهور المسلمين ، حتى إذا وجدت هذه القلوب التى تعلم أن ليس أمامها فى رحلة الأرض شىء إلا أن تعطى بلا مقابل ، وأن تنتظر الآخرة وحدها موعداً للجزاء ، وموعداً كذلك للفصل بين الحق والباطل ، حتى إذا وجدت هذه القلوب وعلم الله منها صدق نيتها على ما بايعت وعاهدت آتاها النصر فى الأرض وائتمنها عليه ، لا لنفسها ولكن لتقوم بأمانة المنهج الإلهى ... » .

سورة الانشقاق

تبدأ السورة ببعض مشاهد الانقلاب الكونى وهى هنا ذات طابع خاص ، طابع الاستسلام لله، استسلام السماء واستسلام الأرض فى طواعية وخشوع ويسر ، فانشقاق السماء سبق الحديث عنه فى سور سابقة ، أما الجديد هنا فهو استسلام السماء لربها ووقوع الحق عليها ، وخضوعها لوقع هذا الحق وطاعتها ، فإذن السماء لربها : استسلامها وطاعتها لأمره فى الانشقاق ، ووقع عليها الحق ، واعترفت بأنها محقوقة لربها ، وهو مظهر من مظاهر الخضوع ؛ لأن هذا حق عليها مسلم به منها ، والجديد هنا كذلك مد الأرض ومط رقعتها وشكلها ، وإلقاء ما فيها وهو تعبير يصور الأرض كائنة حية تلقى ما فيها وتتخلى عنه،وما فيها كثير منه تلك الخلائق التى لا تحصى، ومنه سائر ما يختبئ فى جوف الأرض من معادن ومياه وأسرار لا يعلمها إلا بارئها ، وهى الأخرى استجابت لربها مستسلمة معترفة أن هذا حق عليها ، والذى يتبقى فى الحس هو ظل الاستسلام الطائع الخاشع فى غير ما جلبة ولا معارضة ولا كلام .

وفى هذا الجو الخاشع الطائع يجىء النداء العلوى للإنسان ، وأمامه الكون بسمائه وأرضه مستسلما لربه ، هذا الاستسلام : يا أيها الإنسان إنك تقطع رحلة حياتك على الأرض كادحًا ، تحمل عبئك وتجهد جهدك وتشق طريقك، لتصل فى النهاية إلى ربك ، فإليه المرجع وإليه المآب بعد الكد والكدح والجهاد ، فأنت ساع إلى ربك سعيا ، وعامل عملا ثم إنك ستلقى ماعملت خيراً أو شراً ، وإنك لا تجد الراحة فى الأرض أبداً والكدح واحد ، أما العاقبة فمختلفة عندما تصل إلى ربك ؛ فواحد إلى عناء دونه عناء الأرض ، وواحد إلى نعيم يمسح على آلام الأرض كأنه لم يكن كدح ولا كد .

والذى يؤتى كتابه بيمينه هو المرضىّ السعيد الذى آمن وأحسن ، فرضى الله عنه وكتب له النجاة ، وهو يحاسب حسابا يسيراً ، فلا يناقش ولا يدقق معه فى الحساب ، ثم ينجو ويرجع إلى الناجين الذين سبقوه إلى الجنة ، وهو تعبير يفيد تجمع المتوافقين على الإيمان والصلاح من أهل الجنة ، ومن أحب من أهله وصحبه ، وهو وضع يقابل وضع المعذب الهالك المأخوذ بعمله السيئ،الذى يؤتى كتابه وهو كاره بشماله من وراء ظهره وهو الكاره المكره الخزيان من المواجهة.

وهذا التعيس الذى قضى حياته فى الأرض كدحا ، وقطع طريقه إلى ربه كدحا ـ ولكن فى المعصية والإثم والضلال يعرف نهايته ، ويواجه مصيره ، ويدرك أنه العناء الطويل بلا توقف فى هذه المرة ولا انتهاء ، فيدعو ثبوراً ، وينادى الهلاك لينقذه مما هو مقدم عليه من الشقاء ، وحين يدعو الإنسان بالهلاك لينجو به ، يكون فى الموقف الذى ليس بعده ما يتقيه ، حتى ليصبح الهلاك أقصى أمانيه ، ويكر السياق راجعًا إلى ماضى هذا الشقى ، فيذكر من تاريخه الأسود أنه كان غافلا عن الدار الآخرة ، ولا يفكر فى العواقب ، ولا يقدم لها زادًا ، فقد كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته ، ولكن الحقيقة أن ربه كان مطلعا عليه أمره ، وأنه مجازيه بما كان منه .

ويعود السياق بالكادحين إلى لمحات من هذا الكون الذى يعيشون فيه حياتهم ، وهم غافلون عما تشى به هذه اللمحات من التدبير والتقدير الذى يشملهم كذلك ، ويقدر بإحكام ما يتوارد عليهم من أحوال فيقسم بالشفق وهو الوقت الخاشع بعد الغروب ، وهو الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة ، ويتتابع القسم بالليل وما جمع وما حمل ، وبالقمر إذا اجتمع واستوى واكتمل ، هذه اللمحات الكونية يخاطب بها القلب البشرى الذى يغفل ، فيجىء القسم بها ليبرزها للمشاعر والضمائر فى دلالتها على القدرة التى تمسك بأقدار هذا الكون ، والناس غافلون عن معاناتهم يوم القيامة حالا بعد حال ، ويلقون من شدائده وأهواله أحوالا ، وقوم كانوا فى الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا فى الآخرة .

ثم يجىء التعجيب من أمر الذين لا يؤمنون ، فموحيات الإيمان فى لمحات الوجود ، وفى أحوال النفوس تواجه القلب البشرى حيثما توجه ، وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الرحمن وكلامه لا يسجدون لها إعظاما وإكراما واحتراما؟ وتأتى علة الكفر بأن طابعهم التكذيب ، والله أعلم بما يكتمون فى صدورهم من الشر والسوء ، وهؤلاء لهم العذاب الشديد ، وأما أهل الإيمان فلهم الأجر الدائم غير المقطوع فى دار البقاء والخلود ، ولله المنة أن جعل الانشقاق بين أهل الإيمان وأهل الفجور والطغيان واسعا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ كل إنسان سيلقى جزاء عمله ، والعاقل من يجد فى طلب الثواب والهرب من العقاب .

٢ ـ ليس هناك عذر للذين لا يؤمنون بالله مع وضوح الأدلة وكثرتها على وجود الله ووحدانيته .

٣ ـ أهل الجنة يعيشون فى الدنيا بالمخافة ، ويبدلهم الله الأمان والنعيم فى الآخرة .

معانى الكلمات :

البروج : المنازل المعروفة للكواكب .

اليوم الموعود : يوم القيامة .

وشاهد : من يشهد على غيره فيه .

ومشهود : من يشهد عليه غيره فيه .

قتل : لعن أشد اللعن .

الأخدود : الشق العظيم .

نقموا : كرهوا وأنكروا .

فتنوا : عذبوا أو أحرقوا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم أن العقيدة محور الصراع بين الحق والباطل ، والمؤمن والفاجر .

٢ ـ أن نعلم أن الابتلاء سنة الله لتمحيص المؤمنين ومحق الكافرين .

٣ ـ أن نستشعر إحاطة الله تعالى بعباده ، وأنهم فى قبضته وأن نطمئن إلى ذلك .

المحتوى التربوى :

تبدأ السورة بقسم ، فتربط بين السماء وما فيها من بروج هائلة ، وهى أجرام النجوم أو المنازل التى تنتقل فيها هذه الأجرام فى أثناء دورانها ، واليوم الموعود الذى وعد الله بمجيئه ، ووعد بالحساب والجزاء فيه وهو يوم القيامة ، ففيه تعرض الخلائق فتصبح كلها مشهودة ، ويصبح الجميع شاهدين، ويعلم كل شىء، ويظهر مكشوفا لا يستره ساتر عن القلوب والعيون، تربط بين هذا كله وبين الحادث ونقمة أصحاب الأخدود واللعنة الشديدة ، وكلمة « قتل» تدل على الغضب ، غضب الله على الفعلة وفاعليها ، كما تدل على شناعة الذنب الذى يثير غضب الحليم ، ونقمته ، ووعيده بالقتل لفاعليه .

ثم يجيء تفسير الأخدود بالنار الذى صارت بدلا منه فى التعبير للإيحاء بتلهب النار فيه كله وتوقدها ، والأخدود: الشق فى الأرض ، وكان أصحابه قد شقوه وأوقدوا فيه النار حتى ملؤوه نارا ، قتل أصحاب الأخدود، واستحقوا هذه النقمة وهذا الغضب فى الحالة التى كانوا عليها وهم يرتكبون ذلك الإثم ، ويزاولون تلك الجريمة ، وهم يوقدون النار ويلقون بالمؤمنين من لا ذنب عندهم ولا ثأر ، وما جريمتهم إلا أنهم آمنوا بالله العزيز القادر على ما يريد ، الحميد المستحق للحمد فى كل حال ، والمحمود بذاته ولو لم يحمده الجهال ، وهو الحقيق بالإيمان به بالعبودية له ، وهو وحده الذى له ملك السموات والأرض ، وهو يشهد كل شىء وتتعلق به إرادته تعلق الحضور ، ثم هو الشهيد على ما كان من أمر المؤمنين وأصحاب الأخدود .

يقول صاحب الظلال : « تنتهى رواية الحادث وقد ملأت القلب بالروعة ، روعة الإيمان المستعلى على الفتنة ، والعقيدة المنتصرة على الحياة .. فقد كان فى مكنة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم فى مقابل الهزيمة لإيمانهم ، ولكن كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير : معنى زهادة الحياة بلا عقيدة ، وبشاعتها بلا حرية ، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد ، إنه معنى كريم جداً ومعنى كبير جداً هذا الذى ربحوه وهم بعد فى الأرض ، ربحوه وهم يجدون مس النار فتحترق أجسادهم ، وينتصر هذا المعنى الكريم الذى تزكيه النار ، وبعد ذلك لهم عند ربهم حساب ، ولأعدائهم الطاغين حساب » .

وبعد أن لعن الله عز وجل أصحاب الأخدود الذين فعلوا ما فعلوا بالمؤمنين ، تأتى آيتان هما بمثابة تعليق على الحادثة تتضمنان قاعدتين : الأولى : فى جزاء هؤلاء وأمثالهم ممن يفتن المؤمنين عن دينهم ، والثانية : فى جزاء أهل الإيمان ، فالذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بعذابهم وإحراقهم ، ولم يندموا على ما فعلوا ، جزاؤهم جهنم ولهم فيها عذاب الحريق فالجزاء من جنس العمل ، ويتمثل رضا الله وإنعامه على الذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الجنة، وهذه هى النجاة الحقيقية، فالنجاة من عذاب الآخرة فوز ، فكيف بالجنات تجرى من تحتها الأنهار ؟

ثم تتوالى التعقيبات ، وإظهار حقيقة البطش وشدته فى هذا الموضع هو الذى يناسب ما مر فى الحادث من مظهر البطش الصغير الهزيل الذى يحسبه أصحابه ، ويحسبه الناس فى الأرض كبيراً شديداً ، فالبطش الشديد هو بطش الجبار الذى له ملك السموات والأرض ، لا بطش الضعاف المهازيل الذين يتسلطون على رقعة من الأرض محدودة ، فى رقعة من الزمان محدودة ، والبدء والإعادة وإن اتجه معناهما الكلى إلى النشأة الأولى والنشأة الآخرة ، إلا أنهما حدثان دائبان فى كل لحظة من ليل أو نهار ، ففى كل لحظة بدء وإنشاء ، وفى كل لحظة إعادة لما بلى ومات ، والكون كله فى تجدد مستمر ، وفى بلى مستمر .

والله سبحانه هو الغفور ، والمغفرة من الرحمة والفضل الفائض بلا حدود وقيود ، وهى الباب المفتوح الذى لا يغلق فى وجه عائد تائب ، ولو عظم الذنب وكبرت المعصية ، وهو صاحب الود للمؤمنين الذين اختاروا ربهم على كل شىء ، وهو الإيناس اللطيف الحلو الكريم ، وماذا تكون الحياة التى ضحوا بها وهى ذاهبة ؟ وماذا يكون العذاب الذى احتملوه وهو موقوت ؟ ماذا يكون هذا إلى جانب قطرة من هذا الود الحلو ؟ وإلى جانب لمحة من هذا الإيناس الحبيب ؟ إن عبيداً من رقيق هذه الأرض ، عبيد الواحد من البشر ليلقون بأنفسهم إلى التهلكة لكلمة تشجيع تصدر من فمه ، أو لمحة رضا تبدو فى وجهه ، وهو عبد وهم عبيد فكيف بعباد الله الذين يؤنسهم الله بوده الكريم الجليل ، والله صاحب العرش العظيم العالى المهيمن الماجد الكريم ؟ ألا هانت الحياة ، وهان الألم ، وهان العذاب ، وهان كل غال عزيز فى سبيل لمحة رضا يجود بها المولى الودود ذو العرش المجيد .

والله ـ عز وجل ـ مطلق الإدارة ، يختار ما يشاء ، ويفعل ما يريد ويختاره دائما أبداً ، فتلك صفته سبحانه ، يريد مرة أن ينتصر المؤمنون به فى هذه الأرض لحكمة يريدها ، ويريد مرة أن يأخذ الجبارين فى الأرض ويريد مرة أن يمهلهم لليوم الموعود لحكمة تتحقق هنا وتتحقق هناك فى قدره المرسوم ، وهاك نموذجا من فعله لما يريد ، فهل بلغك ما أحل الله بقوم فرعون وثمود من البأس ، وأنزل عليهم من النقمة التى لم يردها عنهم أحد ؟ ويسميهم الله الجنود إشارة إلى قوتهم واستعدادهم ، وهما نموذجان لفعل الإرادة وتوجه المشيئة ، وصورتان من صور الدعوة إلى الله واحتمالاتها المتوقعة إلى جانب الاحتمال الثالث الذى وقع فى حادث الأخدود ، وكلها يعرضها القرآن للقلة المؤمنة فى مكة ، ولكل جيل من أجيال المؤمنين .

ويجىء الختام فيقرر : أن شأن الكفار التكذيب الدائم ، وهم غافلون عن قهر الله وعلمه وقدرته عليهم ، ولكن هو قرآن الله تتلى فيه هذه الحقائق ، وهل أمجد وأرفع وأعرق من قول الله العظيم ؟ وهو فى لوح محفوظ لا ندرك نحن طبيعته ؛ لأنه من أمر الغيب الذى تفرد الله بعلمه ، ونحن ننتفع بالظل الذى يلقيه التعبير ، وهذا القرآن مصون ثابت ، يذهب كل قول ، وقوله هو المرعى المحفوظ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ المؤمن يضحى بنفسه فى سبيل عقيدته وإيمانه .

٢ ـ الكافرون يحقدون ـ دائما ـ على المؤمنين ، ويريدون أن يصرفوهم عن دينهم بكل الوسائل الممكنة ، وعلى المؤمنين أن يأخذوا حذرهم .

٣ ـ الله ـ تعالى ـ ينصر عباده المؤمنين وينتقم من الكافرين .

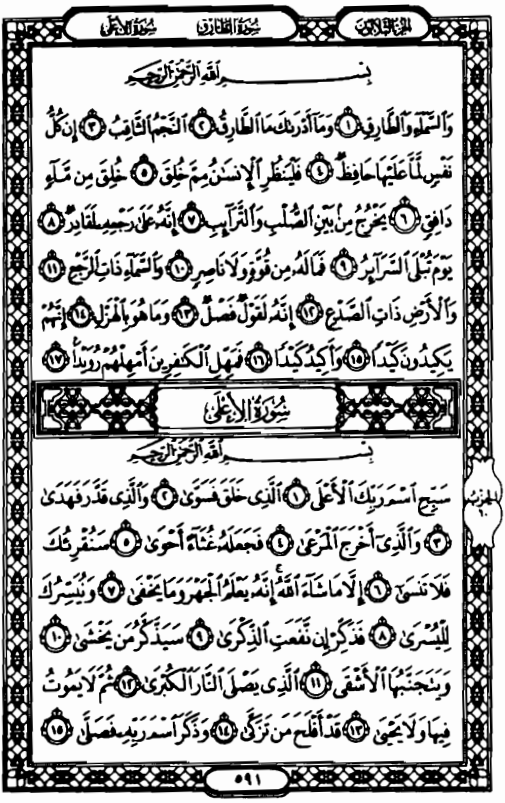
الجزء الثلاثون — سورة الطارق — سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق ﴿١﴾ وما أدراك ما الطارق ﴿٢﴾ النجم الثاقب ﴿٣﴾ إن كل
نفس لما عليها حافظ ﴿٤﴾ فلينظر الإنسان مم خلق ﴿٥﴾ خلق من ماء
دافق ﴿٦﴾ يخرج من بين الصلب والترائب ﴿٧﴾ إنه على رجعه لقادر ﴿٨﴾
يوم تبلى السرائر ﴿٩﴾ فما له من قوة ولا ناصر ﴿١٠﴾ والسماء ذات الرجع ﴿١١﴾
والأرض ذات الصدع ﴿١٢﴾ إنه لقول فصل ﴿١٣﴾ وما هو بالهزل ﴿١٤﴾ إنهم
يكيدون كيدا ﴿١٥﴾ وأكيد كيدا ﴿١٦﴾ فمهل الكافرين أمهلهم رويدا ﴿١٧﴾

سورة الأعلى

بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء
سبح اسم ربك الأعلى ﴿١﴾ الذي خلق فسوى ﴿٢﴾ والذي قدر فهدى
﴿٣﴾ والذي أخرج المرعى ﴿٤﴾ فجعله غثاء أحوى ﴿٥﴾ سنقرئك
فلا تنسى ﴿٦﴾ إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى ﴿٧﴾ ونيسرك
لليسرى ﴿٨﴾ فذكر إن نفعت الذكرى ﴿٩﴾ سيذكر من يخشى ﴿١٠﴾
ويتجنبها الأشقى ﴿١١﴾ الذي يصلى النار الكبرى ﴿١٢﴾ ثم لا يموت
فيها ولا يحيى ﴿١٣﴾ قد أفلح من تزكى ﴿١٤﴾ وذكر اسم ربه فصلى ﴿١٥﴾

٥٩١

معانى الكلمات :

دافق : مصبوب بدفع وسرعة فى الرحم .

الصلب : ظهر كل من الرجل والمرأة .

والترائب : عظام الصدر أو الأطراف من كل منهما .

تبلى السرائر : تكشف خبايا النفوس .

الرجع : المطر .

الصدع : النبات الذى تشقق عنه .

غثاء : يابسا هشيما .

أحوى : أسود أو أسمر بعد الخضرة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم قدرة الله فى النشأة الآخرة وحتمية الرجوع إليه سبحانه .

٢ ـ أن نعلم حقيقة المعركة مع أعداء الله عز وجل .

٣ ـ أن نعلم ما تضمنته السورة من بشريات لرسول الله ﷺ .

المحتوى التربوى :

تبدأ السورة بقسم يتضمن مشهداً كونيا وحقيقة إيمانية ، وهو يبدأ بذكر السماء والطارق ويثنى بالاستفهام المعهود الموحى بأن الأمر وراء الإدراك والعلم ، فيقسم الله تبارك وتعالى بالسماء ونجمها الثاقب الذى يثقب الظلام بشعاعه النافذ ، يقسم أن كل نفس عليها من أمر الله رقيب يراقبها ويحصى عليها ، ويحفظ عنها ، وهو موكل بها بأمر الله، ويعين النفس لأنها مستودع الأسرار والأفكار ، وهى التى يناط بها العمل والجزاء .

وينتقل السياق إلى ما يؤكد حقيقة التقدير والتدبير التى أقسم عليها بالسماء والطارق ، فهذه نشأة الإنسان الأولى تدل على هذه الحقيقة ، وتوحى بأن الإنسان ليس متروكا سدى ولا مهملا

ضياعا ، فلينظر الإنسان من أى شىء خلق ، وإلى أى شىء صار ، إنه خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، **يقول صاحب الأساس** : « قد ذكر الله عز وجل مركز تجمع المنى بأنه الصلب والترائب ، فهو فى المنطقة بين العصعص وعظام المنطقة السفلى من الوسط ، بين العصعص وعظم العانة ، إن خصية الرجل ، ومبيض المرأة بين الصلب والترائب ، والمنى يخرج متدفقا ، وبويضة المرأة تخرج مع ماء يتدفق » .

ويتم التعقيب بالتمهيد لحقيقة النشأة الآخرة التى لا يصدقها المشركون ، فالله عز وجل الذى أنشأه ورعاه لقادر على رجعه إلى الحياة بعد الموت ، وإلى التجدد بعد البلى ، تشهد النشأة الأولى بقدرته ، كما تشهد بتقديره وتدبيره ، فهذه النشأة البالغة الدقة والحكمة تذهب كلها عبثا إذا لم تكن هناك رجعة لتختبر السرائر وتجزى جزاءها العادل يوم تبلى وتختبر وتنكشف وتظهر السرائر المكنونة ، يوم يتجرد الإنسان من كل قوة ومن كل ناصر ،وما له من قوة فى ذاته ، وما له من ناصر خارج ذاته ، والتكشف من كل ستر مع التجرد من كل قوة يضاعف شدة الموقف .

ولعل طائفا من شك أو بقية من ريب ، تكون باقية فى النفس ، فى أن هذا لابد كائن ، فمن ثم يجزم جزما بأن هذا القول الفصل ، ويربط بين هذا القول وبين مشاهد الكون ، فالرجع المطر ترجع به السماء مرة بعد مرة ، والصدع النبت يشق الأرض وينبثق ، وهما يمثلان مشهداً للحياة فى صورة من صورها ، حياة النبات ونشأته الأولى : ماء يتدفق من السماء ، ونبت ينبثق من الأرض ، أشبه شىء بالماء الدافق من الصلب والترائب ، والجنين المنبثق من ظلمات الرحم فالحياة هى الحياة ، يقسم الله بهذين الحدثين : السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع بأن هذا القول الذى يقرر الرجعةِ والابتلاء ـ أو بأن هذا القرآن عامة ـ هو القول الفصل الذى لا يتلبس به الهزل ، القول الفصل الذى ينهى كل قول وكل جدل وكل شك وكل ريب .

ويتجه الخطاب إلى الرسول ﷺ هو ومن معه من القلة المؤمنة فى مكة يعانون من كيد المشركين ومؤامراتهم على الدعوة والمؤمنين بها ، يتجه الخطاب بالتثبيت والتطمين ، وبالتهوين من أمر الكيد والكائدين وأنه إلى حين ، وأن المعركة بيده هو ـ سبحانه ـ وقيادته ، فليصبر الرسول وليطمئن هو والمؤمنون ، فهؤلاء الذين خلقوا من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب بلا حول ولا قوة ولا قدرة ولا إرادة ولا معرفة ولا هداية والذين تولتهم يد القدرة، والذين هم صائرون إلى رجعة تبلى فيها السرائر حيث لا قوة لهم ولا ناصر ، إنهم يكيدون كيداً ، أنا المنشىء الهادى الحافظ الموجه المعيد ، المبتلى القادر القاهر ، خالق السماء والطارق ، وخالق الماء الدافق والإنسان الناطق ، وخالق السماء ذات الرجع، والأرض ذات الصدع ، أنا الله أكيد كيداً، فهذا

كيد وهذا كيد وهذه هى المعركة، ويأتى الإيناس للرسول ﷺ وكأنه هو الذى يأذن بإمهالهم، وكأنه صاحب الأمر ، وكأنما يقول له ربه : إنك مأذون فيهم ولكن أمهلهم قليلا .

سورة الأعلى

تبدأ السورة بالأمر بالتسبيح ، وهو التمجيد والتنزيه واستحضار معانى الصفات الحسنى لله تعالى ، والصفة الأولى القريبة فى هذا النص هى صفة الرب ، وصفة الأعلى ، والرب المربى والراعى،وصفة الأعلى تطلق التطلع إلى الآفاق التى لا تتناهى، فهو الذى خلق كل شىء فسواه فأكمل صنعته ، وبلغ به غاية الكمال الذى يناسبه ، والذى قدر لكل مخلوق وظيفته وغايته فهداه إلى ما خلقه لأجله ، والله خلق هذه الأرض وقدر فيها أقواتها لكل حى يدب فوق ظهرها أو يختبئ فى جوفها أو يطير فى جوها ، والمرعى يخرج فى أول أمره خضراً ثم يذوى فإذا هو غثاء أميل إلى السواد فهو أحوى ، وقد يصلح أن يكون طعاما وهو أخضر ، ويصلح أن يكون طعاما وهو غثاء أحوى ، وذلك بتقدير الذى خلق فسوى وقدر فهدى وبعدئذ يجىء بتلك البشرى العظيمة لرسول الله ﷺ وأمته من ورائه ، وتبدأ البشرى برفع عناء الحفظ لهذا القرآن ، فعليه القراءة يتلقاها عن ربه ، وربه هو المتكفل بعد ذلك بقلبه ، فلا ينسى ما يقرئه ربه، وهذه بشرى لأمته من ورائه تطمئن بها إلى أصل هذه العقيدة فهى من الله،والله كافلها وحافظها فى قلب نبيها، ويقع الاستثناء ليقرر طلاقة المشيئة الإلهية ليظل القلب معلقا بها حيا بهذا التعلق ، فالله يعلم الجهر وما هو سر .

والبشرى الثانية : أن الله يسهل عليه وعلى أمته ﷺ أفعال الخير وأقواله ، فذكر حيث تنفع التذكرة، فلا تضع العلم عند غير أهله، وسيتعظ من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه، ويتجنب هذه الذكرى فلا يسمع لها ولا يفيد منها الأشقى فى الآخرة بدخوله نار جهنم ، ولا يموت فيها فيستريح ولا يحيا حياة تنفعه بل تضره ، قد أفلح من طهر نفسه من كل رجس ودنس وذكر اسم ربه فاستحضره فى قلبه وصلى الصلاة فى أوقاتها .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ الإنسان مراقب وأعماله محسوبة له أو عليه .

٢ ـ الله ـ سبحانه وتعالى ـ يمهل الظالمين ولا يعجل بعذابهم ؛ لأنه سيعاقبهم يوم القيامة .

٣ ـ الفوز لمن طهر نفسه من الكفر والذنوب وزكاها بالإيمان وصالح الأعمال .

معانى الكلمات :

الغاشية : القيامة .

خاشعة : ذليلة خاضعة من الخزى .

عاملة ناصبة : مستمرة فى العمل الذى يشقيها فى النار .

آنية : بلغت غايتها فى الحرارة .

ضريع : شىء فى النار ، كالشوك مُر منتن .

لاغية : لغواً وباطلا .

نمارق مصفوفة : وسائد موضوعة لتريحهم عند الجلوس.

زرابى مبثوثة : بسط فاخرة مفرقة فى المجالس .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم وحدة العقيدة على مر الرسالات .

٢ ـ أن نتعرف على مشاهد يوم الغاشية وما يحدث فيه .

٣ ـ أن نعلم مصائر الناس يوم القيامة ومشاهد من جزائهم .

المحتوى التربوى :

تذكر الآيات المخاطبين بعلة الشقاء ومنشأ الغفلة ، فإيثار الحياة الدنيا هو أساس كل بلوى ، فعن هذا الإيثار ينشأ الإعراض عن الذكرى ؛ لأنها تقتضيهم أن يحسبوا حساب الآخرة ويؤثروها وهم يريدون الدنيا ويؤثرونها والآخرة خير فى نوعها وأبقى فى أمدها ، وفى الختام تجىء الإشارة إلى قدم هذه الدعوة وعراقة منبتها ، وامتداد جذورها فى شعاب الزمن ، وتوحد أصولها من وراء الزمان والمكان ، وهذا الذى ورد فى هذه السورة وهو يتضمن أصول العقيدة الكبرى ، وهذا الحق الأصيل العريق هو الذى فى الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى ، ووحدة الحق ووحدة العقيدة هى الأمر الذى تقتضيه وحدة الجهة التى صدر عنها ، إنه واحد يرجع إلى أصل واحد ، صادر من مصدر واحد من ربك الأعلى .

سورة الغاشية

هذه السورة باعثة إلى التأمل والتدبر ، وإلى الرجاء والتطلع ، وإلى المخافة والتوجس ، وإلى عمل الحساب ليوم الحساب ، وهى تطوّف بالقلب البشرى فى مجالين هائلين : مجال الآخرة وعالمها الواسع ، ومجال الوجود العريض المكشوف للنظر ، ثم تذكرهم بعد هاتين الجولتين بحساب الآخرة وسيطرة الله وحتمية الرجوع إليه فى نهاية المطاف .

وتبدأ السورة بالاستفهام الموحى بالعظمة الدال على التقرير ، الذى يشير فى الوقت ذاته إلى أن أمر الآخرة مما سبق به التذكير ، وتسمى القيامة هذا الاسم الجديد الغاشية ، أى الداهية التى تغشى الناس وتغمرهم بأهوالها ، ثم تعرض شيئًا من حديث الغاشية ، ويأتى العذاب قريبا من جو الغاشية فتعجل به ، فهناك : يومئذ وجوه خاشعة ذليلة متعبة مرهقة ، عملت ونصبت فلم تحمد العمل ولم ترض العاقبة ، ولم تجد إلا الوبال والخسارة ، فهى عملت لغير الله ، ونصبت فى غير سبيله، عملت لنفسها ولأولادها وتعبت لدنياها وأطماعها، ثم وجدت عاقبة العمل والكد، وجدته فى الدنيا شقوة بغير زاد ، ووجدته فى الآخرة سواداً يؤدى إلى العذاب ، وهى تواجه النهاية مواجهة الذليل المرهق المتعوس .

ومع هذا الذل والرهق والعذاب والألم ، تدخل ناراً حارة شديدة الحر ، تسقى من عين قد انتهى حرها وغليانها إلى نهايته ، وليس هناك طعام إلا الضريع قيل : إنه شجر من نار فى جهنم ، وقيل : نوع من الشوك اللاطئ بالأرض ترعاه الإبل وهو أخضر ويسمى « الشبرق » ،فإذا جنى صار اسمه الضريع ولم تستطع الإبل مذاقه فهو عندئذ سام ، والألم الذى يتجمع من الذل والوهن والخيبة ومن لسع النار الحامية ، ومن التبرد والارتواء بالماء الشديد الحرارة ، والتغذى بالطعام الذى لا تقوى الإبل على تذوقه ، وهو شوك لا نفع فيه ولا غناء ـ من مجموعة هذه التصورات يتجمع فى حسِّنا إدراك لأقصى درجات الألم وعذاب الآخرة بعد ذلك أشد .

وعلى الجانب الآخر ، فهنا وجوه يبدو فيها النعيم ويفيض منها الرضا ، وجوه تنعم بما تجد وتحمد ما عملته فوجدت عقباه خيراً ، وتستمتع بهذا الشعور الروحى الرفيع ، شعور الرضا عن عملها حين ترى رضا الله عنها ، وليس أروح للقلب من أن يطمئن إلى الخير ويرضى عاقبته ، ومن ثم يقدم القرآن هذا اللون من السعادة على ما فى الجنة من رخاء ومتاع .

ثم يصف الجنة ومناعمها المتاحة لهؤلاء السعداء ؛ فهذه الجنة عالية فى ذاتها رفيعة مجيدة ، ثم هى عالية الدرجات، وعالية المقامات ، ولا تسمع فيها كلمة لغو ، والتنزه عن كل كلمة لاغية لا خير فيها ولا عافية وحده نعيم كبير ، ثم تجىء المناعم التى تشبع الحس والحواس ، تجىء فى الصورة التى يملك البشر تصورها ، وهى فى الجنة مكيفة وفق ما ترتقى إليه نفوس أهل الجنة مما

لا يعرفه إلا من يذوقه ، ففيها عين جارية والعين الجارية ينبوع يتدفق ، وهو يجمع إلى الرى الجمال ، جمال الحركة والتدفق والجريان ، وفيها السرر المرفوعة ، والارتفاع يوحى بالنظافة كما يوحى بالطهارة ، والأكواب مصفوفة مهيأة للشراب لا تحتاج إلى طلب ولا إعداد ، والنمارق الوسائد والحشايا مهيأة للاتكاء فى ارتياح ، والسجاجيد مبثوثة هنا وهناك للزينة وللراحة سواء ، وكلها مناعم مما يشهد الناس له أشباها فى الأرض ، أما طبيعتها وطبيعة المتاع بها فهى موكولة إلى المذاق هناك ، للسعداء الذين يقسم الله لهم هذا المذاق .

وينتقل السياق إلى آيات الله المبثوثة فى خلائقه المعروضة للجميع ؛ فيضم أطراف الخلائق البارزة فى الكون كله ، حين تتضمن السماء والأرض والجبال والجمال (ممثلة لسائر الحيوان) أياً كان حظ الإنسان من العلم والحضارة فهذه المشاهد داخلة فى علمه وإدراكه ، ومن ثم يوجه القرآن الناس كافة إليها ؛ فالإبل تركيبها عجيب ، فإنها فى غاية القوة والشدة ، وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل ، وتنقاد للقائد الضعيف ، وتؤكل وينتفع بوبرها ، ويشرب لبنها ، والسماء كيف رفعت بلا عمد ، وانتشرت فيها النجوم بلا عدد ، وجعل فيها هذه البهجة وهذا الجمال وهذا الإيحاء ، والجبال جعلت منصوبة قائمة ثابتة راسية ؛ لئلا تميد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن ، وكيف بسطت الأرض ومدت ومهدت ، وهذا القدر يكفى لتحرك الروح نحو الخالق المبدع لهذه الخلائق .

ويأتى الخطاب للرسول ﷺ يوجهه إلى حدود واجبه وطبيعة وظيفته ، فعليه أن يذكرهم بالآخرة وما فيها ، وذكرهم بالكون وما فيه إنما أنت مذكر ، وأنت لا تملك من أمر قلوبهم شيئا حتى تقهرها على الإيمان ، فالقلوب بين أصابع الرحمن لا يقدر عليها إنسان ، وإذا كان هذا هو حد الرسول، فإن الأمر لا ينتهى عند هذا الحد، ولا يذهب المكذبون ناجين، ولا يتولون سالمين، فهم راجعون إلى الله وحده ، وهو مجازيهم وحده حتما ، فهنالك الله وإليه تصير الأمور ، إنما أنت مذكر وحسابهم بعد ذلك على الله ولا مفر ، وبهذا يتحدد دور الرسول فى هذه الدعوة ودور كل داعية إليها بعده .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ العقلاء هم الذين يفضلون الآخرة على الدنيا ، فالدنيا زائلة والآخرة هى الباقية .

٢ ـ على المسلم أن يتفكر فيما حوله من الكون ، حتى تتحرك الروح نحو خالقها .

٣ ـ على العلماء أن يعظوا الناس بالحسنى وألا يجبروا الناس على الإيمان ؛ لأن الهداية من عند الله .

سُورَةُ الْفَجْرِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾
٥٩٣

سورة الفجر

معانى الكلمات :

ليال عشر : العشر الأول من ذى الحجة .

والشفع والوتر : ما كان مزدوجا ومفردا .

يسر : يمضى ويذهب .

لذى حجر : لصاحب عقل .

إرم : اسم جد قبيلة عاد الأكبر .

فقدر : فضيق .

أكلا لما : جمعا بين الحلال والحرام .

حبا جما : كثيراً مع حرص وشره .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ـ أن نعلم مصارع الطغاة الغابرين الذين تحثت عنهم هذه السورة .

٢ ـ أن نعلم خصائص النفس البشرية الواردة فى الآيات .

٣ ـ أن نتعرف على تصور الإنسان للمنع والعطاء .

المحتوى التربوى :

تبدأ السورة بالقسم بالفجر وهى ساعة تنفس الحياة فى يسر وفرح وابتسام ، وإيناس ودود ندى ، والوجود الغافى يستيقظ رويداً رويداً ، وكأن أنفاسه مناجاة ، وكأن تفتحه ابتهال ، ويتوالى القسم ؛ بالليالى العشر قيل : هى العشر من ذى الحجة ، وقيل : هى العشر من المحرم ، وقيل : هى العشر من رمضان وإطلاقها هكذا أوقع وأندى ، فهى ليال عشر يعلمها الله ولها عنده شأن ، والشفع والوتر يطلقان روح الصلاة والعبادة فى ذلك الجو المأنوس الحبيب ، جو الفجر والليالى العشر ،و من الصلاة الشفع والوتر ، وهذا المعنى هو أنسب المعانى فى هذا الجو ، ومن ثم يعقب عليه فى النهاية أن فى ذلك قسما لذى لب وعقل ، وفيه مقنعا لمن له إدراك وفكر ، والمقسم عليه

بذلك القسم قد طواه السياق ليفسره ما بعده فهو موضوع الطغيان والفساد ، وأخذ ربك لأهل الطغيان والفساد ، فهو حق واقع .

وصيغة الاستفهام أشد إثارة لليقظة والالتفات ، وإضافة الفعل إلى «ربك »فيها للمؤمن طمأنينة وأنس وراحة ، وعسف الجبارين من المشركين ، الواقعين للدعوة وأهلها بالمرصاد ، وقد جمع الله فى هذه الآيات القصار مصارع أقوى الجبارين الذين عرفهم التاريخ القديم ؛ مصرع عاد إرم وهى عاد الأولى ، وكان مسكنهم بالإحقاف وهى كثبان الرمال فى جنوبى الجزيرة بين حضر موت واليمن ، وكانوا بدوا ذوى خيام تقوى على عماد ، وقد وصفوا فى القرآن والبطش ، وقد قطعت الصخر وشيدته قصوراً كما نحتت فى الحيال ملاجئ ومغارات ، وفرعون صاحب الجنود الذين يشدون له أمره ، أو الأوتاد هى الأهرامات التى تشبه الأوتاد الثانية فى الأرض المتينة البنيان ، وفرعون هذا فرعون موسى الطاغية الجبار ، هؤلاء هم الذين طغوا فى البلاد وليس وراء الطغيان إلا الفساد ، فلما أكثروا فى الأرض الفساد ، كان العلاج هو تطهير وجه الأرض من الفساد ، فربك راصد لهم ومسجل لأعمالهم ، فلما أن أكثروا الفساد وزاد صب عليهم ألوانا شديدة من العذاب ، والله يرصد خلقه فيما يعملون فليطمئن بال المؤمن .

والإنسان تخطئ موازينه وتضل تقديراته ، ولا يرى إلا الظواهر ما لم يتصل بميزان الله ، فيبتليه الله بالنعمة والإكرام بالمال أو المقام ، فلا يدرك أنه الابتلاء تمهيداً للجزاء ، إنما يحسب هذا الرزق هذه المكانة دليلا على استحقاقه عند الله للإكرام ، وعلامة على اصطفاء الله له واختياره ، فيعتبر البلاء جزاء والامتحان نتيجة ، ويقيس الكرامة عند الله بعرض هذه الحياة ، ويبتليه بالتضييق عليه فى الرزق فيحسب الابتلاء جزاء كذلك ، ويحسب الاختبار عقوبة ، ويرى فى ضيق الرزق مهانة عند الله ، وهو فى كلتا الحالتين مخطئ فى التصور ومخطئ فى التقدير ، فبسط الرزق أو قبضه ابتلاء من الله لعبده ؛ ليظهر منه الشكر على النعمة أو البطر ، ويظهر منه الصبر على المحنة أو الضجر ، والجزاء على ما يظهر منه بعد، والإنسان حين يخلو قلبه من الإيمان لا يدرك حكمة المنع والعطاء ، ولا حقيقة القيم فى ميزان الله .

والمال والجاه عند كثير من الناس كل شئ ، وليس وراءهما مقياس ، ومن ثم كان تكالبهم على المال عظيما ، وحبهم له حباطا غيا ، ومن يكشف لهم عن ذوات صدورهم فى هذا المجال ، ويقرر أن هذا الشره والشح هما علة خطئهم فى إدراك معنى الابتلاء من وراء البسط والقبض فى الأرزاق ، وليس الأمر كما يقول افنسان الخاوى من افيمان ، إنما الأمر انكم لا تنهضون بحق العطاء ، ولا توفون بحق المال ، فأنتم لا تكرمون اليتيم الصغير الذى فقد حاميه وكافله حين فقد أباه ، ولا تتحاضون فيما بينكم على إطعام المسكين الساكن الذى لا يتعرض للسؤال وهو محتاج ، مما يوحى بضرورة التكافل فى الجماعة فى التوجيه إلى الواجب إلى الخير العام وهذه سمة الإسلام،

وكان ضعف اليتامى مغريا بانتهاب أموالهم وبخاصة الإناث منهم فى صور شتى ، وبخاصة ما يتعلق بالميراث ، كما كان حب المال وجمعه بالربا وغيره ظاهرة بارزة ، وفى هذا الآيات فوق الكشف عن نفوسهم ، تنديد بهذا الواقع وروع عنه .

وعند هذا الحد من فضيحة حالهم المنكرة ، بعد تصوير خطأ تصورهم فى الابتلاء بالمنع والعطاء ، يجئ التهديد الرعيب بيوم الجزاء وحقيقة بعد الابتلاء ونتيجته فى إيقاع قوى شديد ، فدك الأرض تحطيم لمعالمها وتسويتها ، وهو أحد الانقلابات الكونية التى تقع فى يوم القيامة ، وأما مجئ ربك والملائكة صفا صفا ، فهو أمر غيبى لا ندرك طبيعته ونحن فى هذه الأرض ، ولكنا نحس وراء التعبير بالجلال والهول ، كذلك المجئ بجهنم نأخذ منه قربها منهم وقرب المعذبين منها وكفى ، فأما حقيقة ما يقع وكيفيته فهى من غيب الله المكنون ليومه المعلوم ، وهو مشهد ترجف له القلوب ، وتخشع له الأبصار ، والأرض تدك دكا دكا ، والجبار المتكبر يتجلى ويتولى الحكم والفصل ، ويقف الملائكة صفا صفا ، ثم يجاء بجهنم فتقف متأهبة هى الأخرى .

وفى هذا المشهد الحافل المهيب يقف الإنسان الذى عن حكمة الابتلاء بالمنع والعطاء ، والذى أكل التراث أكلا لما ، وأحب المال حبا جماً ، والذى لم يكرم اليتيم ، ولم يحض على طعام المسكين ، والذى طغى وأنسد وتولى ، يقف يومئذ يتذكر الحق ويتعظ بما يرى ، ولكن قد فات ، وأنى له الذكرى ؟ ولقد مضى عهد الذكرى ، فما عادت تجدى هنا فى دار الجزاء أحداً ، وإن هى إلا الحسرة على فوات الفرصة فى دار العمل فى الحياة الدنيا .

والآيات تعطى قيمته الحقيقية ومنزلته العالية حين يستشعر الإنسان قدرة الله الطليقة والضعف البشرى العاجز، العاجز حماية نفسه من قدرة ومن شروره وفساده الذى يسئ إلى عاقبته ، والعاجز فى إدراك طريقة بقصور فهمه وتفكيره الدانى ، يستشعر الإنسان هذا وهو يقلب صفحات الإيمان فيدرك أن دينه يرتقى بكل شئ ؛ بعقله وقلبه وتصوراته ، حتى بحياته وأنفاسه التى تتحول من أنفاس لا تتعدى أجزاء ثوان على مدى خطوات إلى أنفاس تملأ الوجود وتظل تنفس فى التاريخ .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ تعظيم الإسلام للوقت وبيان أهميته ،فالوقت هو الحياة فقد ذكر الفجر والليالى العشر .

٢ ـ دراسة التاريخ ومعرفة أحوال السابقين فوائد كثيرة ، من أهمها الاتعاظ بما حدث لهم .

٣ ـ المؤمن يشكر ربه عندما ينال نعمة ، ويصبر ولا يحزن عندما يصيبه مكروه .

معانى الكلمات :

ولا يوثق : لا يشد بالسلاسل والأغلال .

حل بهذا البلد : حلال لك ما تصنع به يومئذ .

كبد : مشقة ومكابدة للشدائد .

لبدا : كثيراً فى المكرمات مباهاة .

النجدين : طريقى الخير والشر .

فك رقبة : تخليصها من الرق .

مسغبة : مجاعة .

مترية : فاقة شديدة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر الحسرة والندم الذى يصيب الإنسان العاصى يوم القيامة .

٢ ـ أن نعلم الحقائق الأساسية فى حياة الإنسان .

٣ ـ أن نعلم السبيل لاقتحام العقبة فى سبيل الله تعالى .

المحتوى التربوى :

حين تمضى حياة الإنسان ويصبح فى دار الجزاء ويتبين غفلته وفوات الأوان ، ما تبقى له إلا الحسرة على فوات الفرصة فى دار العمل ، وحين تتجلى له هذه الحقيقة ، يقول : يا ليتنى قدمت شيئا لحياتى هنا ، فهى الحياة الحقيقية التى تستحق اسم الحياة ، وهى التى تستأهل الاستعداد والتقدمة والادخار لها ، يا ليتنى .. أمنية فيها الحسرة الظاهرة ، وهى أقسى ما يملكه الإنسان فى الآخرة ، ثم يصور مصيره بعد الحسرة الفاجعة والتمنيات الضائعة ، فالله القهار الجبار الذى يعذب يومئذ عذابه الفذ الذى لا يملك مثله أحد ، والذى يوثق وثاقه الفذ الذى لا يوثق مثله أحد ، فليس أحد أشد عذابا ولا أشد قبضا من الله عز وجل .

وفى وسط هذا الهول وهذا العذاب والوثاق الذى يتجاوز كل تصور ، تنادى النفس المؤمنة من الملأ الأعلى ، فى عطف وقرب وتكريم ، وفى ثناء وتطمين : ارجعى إلى مصدرك بعد غربة الأرض وفرقة المهد ، ارجعى إلى ربك بما بينك وبينه من صلة ومعرفة ونسبة ، ارجعى وأنت راضية فى نفسك ، قد رضيت عن الله ورضى عنك أو أرضاك ، وادخلى فى كنفى ورحمتى .

سورة البلد

قال الألوسى : « لما ذم الله سبحانه فيما قبلها من أحب المال وأكل التراث أكلا لما ، ولم يحض على طعام المسكين ، ذكر جل وعلا فيها الخصال التى تطلب من صاحب المال من فك الرقبة ، وإطعام فى يوم ذى مسغبة ، وكذا لما ذكر عز وجل النفس المطمئنة هناك ، ذكر سبحانه ها هنا بعض ما يحصل به الاطمئنان » .

وتبدأ السورة بالقسم بمكة أم القرى ، بيت الله الحرام ، أول بيت وضع للناس ، ويكرم الله نبيه محمداً ﷺ فيذكره ويذكر حله بهذا البلد وإقامته ، بوصفها ملابسة تزيد هذا البلد حرمة ، وتزيده شرفا وعظمة ، ولما أقسم بأم القرى وهى المساكن أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده أو إشارة خاصة إلى إبراهيم أو إلى إسماعيل عليهما السلام ، وإضافة هذا إلى القسم بالبلد والنبى المقيم به ، وبانيه الأول وما ولد ، ولا ينفى أن يكون الوالد والولد على الإطلاق .

يقسم الله هذا القسم على حقيقة ثابتة فى حياة الكائن الإنسانى ؛ فقد خلق فى مكابدة ومشقة ، وجهد وكد ، وكفاح وكدح ، **يقول صاحب الظلال** : « إنه الكبد طبيعة الحياة الدنيا ، تختلف أشكاله وأسبابه ولكنه هو الكبد فى النهاية ، فأخسر الخاسرين هو من يعانى كبد الحياة الدنيا لينتهى إلى الكبد الأشق الأمر فى الأخرى ، وأفلح الفالحين من يكدح فى الطريق إلى ربه ليلقاه بمؤهلات تنهى عنه كبد الحياة ، وتنتهى به إلى الراحة الكبرى فى ظلال الله ، على أن فى الأرض ذاتها بعض الجزاء على ألوان الكدح والعناء ، إن الذى يكدح للأمر الجليل ليس كالذى يكدح للأمر الحقير ، ليس مثله طمأنينة بال وارتياحا للبذل ، واستراحا بالتضحية فالذى يكدح وهو طليق من أثقال الطين ، أو للانطلاق من هذه الأثقال ، ليس كالذى يكدح ليغوص فى الوحل ويلصق بالأرض كالحشرات والديدان ، والذى يموت فى سبيل دعوة ليس كالذى يموت فى سبيل نزوة ، ليس مثله فى خاصة شعوره بالجهد والكبد الذى يلقاه » .

ثم يناقش بعض دعاوى الإنسان وتصوراته التى تشى بها تصرفاته ، فهذا الإنسان المخلوق فى كبد الذى لا يخلص من عناء الكدح والكد ؛ لينسى حقيقة حاله وينخدع بما يعطيه خالقه من أطراف القوة والقدرة والوجدان والمتاع ، فيتصرف تصرف الذى لا يحسب أنه مأخوذ بعمله ، ولا يتوقع أن يقدر عليه قادر فيحاسبه ، فيطغى ويبطش دون أن يخشى ودون أن يتحرج ، وهذه

هى صفة الإنسان الذى تعرى قلبه من الإيمان ، ثم إنه إذا دعى للخير والبذل يقول : قد أنفقت شيئا كثيراً فحسبى ما أنفقت وما بذلت ، وينسى أن عين الله عليه ، وأن علمه محيط به.

وأمام هذا الغرور الذى يخيل للإنسان أنه ذو منعة وقوة ، وأمام ضنه بالمال وادعائه أنه بذل الكثير ، يجابهه القرآن بفيض الآلاء عليه فى خاصة نفسه ، وفى صميم تكوينه وفى خصائص طبيعته واستعداداته ، تلك الآلاء التى لم يشكرها ولم يقم بحقها عنده ؛ فالله هو المنعم عليه بهذا القدر من القوة ويضن بالمال ، والله هو المنعم عليه بهذا المال ، ولا يهتدى ولا يشكر ، وقد جعل له من الحواس ما يهديه فى عالم المحسوسات : جعل له عينين يبصر بهما ، ولسانا ينطق به فيعبر عما فى ضميره ، وشفتين يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام ، وجمالا لوجهه وفمه ، وأودع فى نفسه خصائص القدرة على إدراك الخير والشر ، ففى طبيعته هذا الاستعداد المزدوج لسلوك أى النجدين .

هذه الآلاء كلها تدفع هذا الإنسان إلى اقتحام العقبة التى تحول بينه وبين الجنة ، هذه العقبة التى تقف بينه وبين الجنة لو تخطاها لوصل ؛ هذه العقبة شأنها عظيم عند الله ، وفى ذلك تحفيز للإنسان إلى اقتحامها وتخطيها ، مهما تتطلب من جهد ومن كبد ، فالكبد واقع واقع ، وحين يبذل لاقتحام العقبة يؤتى ثمره ويعوض المقتحم عما يكابده، ويبدأ كشف العقبة وبيان طبيعتها وما تحتاجه ، من فك الرقاب العانية ، وإطعام الطعام والحاجة إليه ماسة للضعاف الذين تقسو عليهم البيئة المتكالبة ، من اليتامى والمساكين والناس فى المجاعة ، وفوق ذلك كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وهو العنصر الضرورى للإيمان بصفه عامة ، ولاقتحام العقبة بصفة خاصة ، وتواصوا بالرحمة بينهم ، وهؤلاء الذين يقتحمون العقبة أصحاب اليمين ، ولا حسنة مع الكفر فأصحابه أصحاب الشمال والشؤم والنحس وهؤلاء الذين بقوا وراء العقبة فلم يقتحموها ، عليهم نار مطبقة مغلقة الأبواب .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ على العاقل أن ينتهز الفرصة فى دار العمل قبل الفوات فى التزود للآخرة .

٢ ـ الإنسان منذ خلق فى رحم أمه وإلى أن يموت هو فى كفاح مستمر للحفاظ على حياته ، وفى الآخرة يكون التعب الأكبر للأشقياء .

٣ ـ عناية الإسلام بأمر اليتيم والحث على رعايته ، وعنايته بالفقراء والمحتاجين والضعفاء والحث على مساعدتهم .

الجزء الثلاثون سورة الشمس سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾
وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا
﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ
أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ
بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ
نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

سورة الليل

بسم الله الرحمن الرحيم

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾
فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ
﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا
لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾

٥٩٥

معانى الكلمات :

جلاها : أظهرها .

يغشاها : يغطيها .

طحاها : بسطها ووطأها .

دساها : أخفاها وأخملها بالفجور .

انبعث : قام مسرعًا .

فدمدم : أهلكهم وأطبق العذاب عليهم .

لشتى : لمختلف .

تردى : هلك أو سقط فى النار .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم دور الإنسان فى شأن نفسه وتبعته فى مصيرها .

٢ ـ أن نتعرف على نموذج من نماذج الخيبة التى ينتهى إليها من يدسى نفسه .

٣ ـ أن نعلم طريق اليسرى وطريق العسرى .

المحتوى التربوى :

يقسم الله عز وجل بالشمس عامة وحين تضحى وترتفع على الأفق بصفة خاصة ، وبالقمر إذا تلا الشمس بنوره اللطيف الشفيف الرائق الصافى ، ويقسم بالنهار إذا جلّى البسيطة وكشفها ، والليل إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق ، ثم يقسم بالسماء وبنائها وبانيها ، ويقسم بالأرض وبسطها وتمهيدها للحياة .

ثم تجىء الحقيقة الكبرى عن النفس البشرية فى سياق هذا القسم ، مرتبطة بالكون ومشاهده وظواهره، وهى إحدى الآيات الكبرى فى هذا الوجود المترابط ، **يقول صاحب الظلال** :

« ومن خلال هذه الآيات وأمثالها تبرز لنا نظرة الإسلام إلى الإنسان بكل معالمها ، إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الاستعداد ، مزدوج الاتجاه ، ونعنى بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه ، مزود باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال ، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر ، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير وإلى الشر سواء ، وأن هذه القدرة كامنة فى كيانه، وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة فى ذات الإنسان ، هى التى تناط بها التبعة ، فمن استخدم هذه القوة فى تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعداد الخير فيها ، وتغليبه على استعداد الشر فقد أفلح ، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب .

ورحمة من الله بالإنسان لم يدعه لاستعداد فطرته ، ولا للقوة الواعية المالكة للتصرف ، فأعانه بالرسالات التى تضع له الموازين الثابتة الدقيقة ، وتكشف له عن موحيات الإيمان ودلائل الهدى فى نفسه وفى الآفاق من حوله ... ، هذه النظرة المجملة إلى أقصى حد تنبثق منها جملة حقائق ذات قيمة فى التوجيه التربوى :

فهى **أولا** : ترتفع بقيمة هذا الكائن الإنسانى حين تجعله أهلاً لاحتمال تبعة اتجاهه ، وتمنحه حرية الاختيار فى إطار المشيئة الإلهية التى شاءت له هذه الحرية فيما يختار ، فالحرية والتبعة يضعان هذا الكائن فى مكان كريم ...

وهى **ثانيا** : تلقى على هذا الكائن تبعة مصيره ، وتجعل أمره بين يديه فى إطار المشيئة الكبرى كما أسلفنا ، فتثير فى حسه كل مشاعر اليقظة والتحرج والتقوى ، وهو يعلم أن قدر الله فيه يتحقق من خلال تصرفه هو بنفسه ...

وهى **ثالثا** : تشعر هذا الإنسان بالحاجة الدائمة للرجوع إلى الموازين الإلهية الثابتة ، ليظل على يقين أن هواه لم يخدعه ولم يضلله ؛ كى لا يقوده الهوى إلى المهلكة ... » .

بعد ذلك يعرض نموذجا من نماذج الخيبة التى ينتهى إليها من يدسى نفسه فيحجبها عن الهدى ويدنسها ممثلا هذا النموذج فيما أصاب ثمود من غضب ونكال وهلاك ، فيذكر أن ثمود بسبب من طغيانها كذبت نبيها ، فكان الطغيان وحده هو سبب التكذيب ، وتمثل هذا الطغيان فى ابتعاث أشقاها ، وهو الذى عقر الناقة ، وهو أشدها شقاء وأكثرها تعاسة بما ارتكب من الإثم ، وقد حذرهم رسول الله قبل الإقدام على الفعلة فقال لهم : احذروا أن تمسوا ناقة الله أو أن تمسوا الماء الذى جعل لها يومًا ولهم يومًا كما اشترط عليهم عندما طلبوا منه فجعل الله هذه الناقة آية ، فكذبوا النذير فعقروا الناقة ، والذى عقرها هو هذا الأشقى واستحسنوا جميعا فعلته فتحملوا

التبعة ، وغضب الله عليهم فدمر عليهم ، والذى لا يخاف عاقبة ما يفعل يبلغ غاية البطش حين يبطش ، وكذلك بطش الله كان ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ (البروج) .

سورة الليل

يقسم الله تعالى بالليل إذا غشى الخليقة بظلامه ، والنهار إذا ظهر بضيائه وإشراقه ، على أن سعى الناس مختلف وطرقهم مختلفة، ومن ثم فجزاؤهم مختلف كذلك فليس الخير كالشر، وليس من أعطى واتقى كمن بخل واستغنى ، وليس من صدق وآمن كمن كذب وتولى ، وأن لكل طريقا ولكل مصيرا ، ولكل جزاء وفاقا ، فالسعى مختلف فى حقيقته ، مختلف فى بواعثه ، مختلف فى اتجاهه ، مختلف فى نتائجه ، وهذه حقيقة ، ولكن هناك حقيقة أخرى ، حقيقة إجمالية تضم أشتات البشر جميعا تحت رايتين عامتين : فمن أعطى نفسه وماله ، واتقى غضب الله وعذابه ، وصدق بهذه العقيدة التى إذا قيل الحسنى كانت اسما لها وعلما عليها .

ومن بخل بنفسه وماله ، واستغنى عن الله وهداه وكذب بهذه الحسنى ، هذان هما الصنفان اللذان يلتقى فيهما شتات النفوس ، وشتات السعى ، وشتات المناهج ، وشتات الغايات ، ولكل منهما فى هذه الحياة طريق ، ولك منهما فى طريقه توفيق ؛ فالذى أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله فى أموره وصدق بالمجازاة على ذلك ، فسييسر الله له الخير، ومن يسر الله له فقد وصل ، ومن بخل بما عنده واستغنى عن ربه عز وجل وكذب بالجزاء فى الدار الآخرة ، فييسره الله للعسرى ويحرمه كل تيسير ، وما يغنى عنه ما بخل به إذا مات ، ولقد كتب الله على نفسه ـ فضلًا منه بعباده ورحمة ـ أن يبين الهدى لفطرة الناس ووعيهم،وأن يبينه لهم كذلك بالرسل والرسالات والآيات، فلا تكون هناك حجة لأحد ، ولا يكون هناك ظلم لأحد ، ويأتى التقرير الجازم لحقيقة السيطرة التى تحيط بالناس فأين يذهب من يريد أن يذهب عن الله بعيداً ؟ ! تفريعا على أن الله كتب على نفسه بيان الهدى للعباد وأن له الآخرة والأولى دارى الجزاء ، والعمل تفريعا على هذا يذكرهم أنه أنذرهم وحذرهم ناراً تتسعر .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ النفس البشرية خلقها الله تعالى مستعدة للخير والشر ، وكل مسؤول عن اختياره .

٢ ـ إذا طغى الشر وكثر الفساد فى مجتمع ، فإن المسؤولية تقع على الجميع ؛ لعدم منع الإفساد والظلم .

٣ ـ المؤمن يجمع ماله من حلال وينفقه فى وجوه الخير ، والكافر يجمع المال بأية طريقة لا يهمه الحلال أو الحرام ، ثم يبخل بإنفاقه فى سبيل الله .

الجزء الثلاثون
سورة الضحى
سورة الشرح
لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن
نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾
سُورَةُ الضُّحَىٰ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾
سُورَةُ الشَّرْحِ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
الحزب ٦٠
أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ
أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ
مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾
٥٩٦

معانى الكلمات :

يصلاها : يدخلها .

سيجنبها : سيبعد عنها .

سجى : سكن أو اشتد ظلامه .

قلى : أبغضك .

فلا تقهر : فلا تغلبه على ماله أو تستذله .

تنهر : تزجر .

أنقض : أثقل .

فانصب : فاجتهد .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم من هو الأشقى ومن هو الأتقى وما مصيرهم .

٢ ـ أن نعلم عظمة الرسول ﷺ ومكانته عند ربه .

٣ ـ أن نستشعر وجوب مواصلة العبادة لله بمفهومها الشامل واستمراريتها .

المحتوى التربوى :

يذكر السياق أن هذه النار المستعرة لا يدخلها إلا أشقى العباد جميعا،ثم يبين من هو الأشقى؛ إنه الذى كذب بالدعوة وتولى عنها ، تولى عن الهدى وعن دعوة ربه له ليهديه كما وعد كل من يأتى إليه راغبا ، وسوف يبتعد عنها الأسعد التقى ويبين من هو التقى بأنه هو الذى ينفق ماله ليتطهر بإنفاقه، لا ليرائى به ويستعلى ، ينفقه تطوعا لا رداً لجميل أحد ، ولا طلبا لشكران أحد، وإنما ابتغاء وجه ربه الأعلى خالصا ، وماذا ينتظر الأتقى غير الرضا ؟ ! ولسوف يرضى بدينه ويرضى بربه ، ويرضى بقدره ، ويرضى بنصيبه ، ويرضى بما يجد من سراء وضراء ، ومن غنى وفقر ومن رخاء وشدة ، يرضى فلا يقلق ولا يضيق ولا يتعجل ولا يستثقل العبء ، ولا يستبعد الغاية ، يرضى وقد بذل الثمن ، وقد أعطى ما أعطى .

سورة الضحى

يقسم الله بالضحى وما جعل فيه من الضياء ، وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ، وبالليل إذا سكن فأظلم وادلهم ، وجواب القسم : ما تركك وما قطعك قطع المودع ، ما تركك ربك ولا جفاك كما زعم من يريدون إيذاء روحك وإيجاع قلبك وإقلاق خاطرك ، وهو ربك وأنت عبده المنسوب إليه ، المضاف إلى ربوبيته ، وهو راعيك وكافلك ، وإن لك عنده فى الآخرة من الحسنى خيراً مما يعطيك منها فى الدنيا ، فهو الخير أولا وأخيراً ، وإنه ليدخر لك ما يرضيك من التوفيق فى دعوتك ، وإزاحة العقبات من طريقك ، وظهور حقك وهى الأمور التى كانت تشغل باله ﷺ وهو يواجه العناد والتكذيب والأذى والكيد والشماتة .

ويمضى سياق السورة يذكر الرسول ﷺ ما كان من شأن ربه معه منذ أول الطريق ، ليستحضر فى خاطره جميل صنع ربه به ، ومودته له ، وفيضه عليه ، ويستمتع باستعادة مواقع الرحمة والود والإيناس الإلهى ، وهو متاع فائق تحييه الذكرى ؛ فانظر فى واقع حالك ، وماضى حياتك هل ودعك ربك وهل قلاك ـ حتى قبل أن يعهد إليك بهذا الأمر؟ ألم تحط يتمك رعايته؟ ألم تدرك حيرتك هدايته ؟ ألم يغمر فقرك عطاؤه ؟ لقد ولدت يتيما فآواك إليه ، وعطف عليك القلوب حتى قلب عمك أبى طالب وهو على غير دينك، ولقد كنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة، كما أغناك بكسبك ومال أهل بيتك عن أن تحس الفقر أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء .

ولقد نشأت فى جاهلية منحرفة السلوك والأوضاع ، فلم تطمئن روحك إليها ، ولكنك لم تكن تجد لك طريقا واضحا مطمئنًا ، ثم هداك الله بالأمر الذى أوحى به إليك ، وبالمنهج الذى يصلك به ، والهداية من حيرة العقيدة وضلال الشعاب فيها هى المنة الكبرى التى لا تعدلها منة ، وهى الراحة والطمأنينة من القلق الذى لا يعدله قلق ، ومن التعب الذى لا يعدله تعب .

وبمناسبة ما ذكره ربه بإيوائه من اليتم ، وهدايته من الحيرة وإغنائه من العيلة ، يوجهه ويوجه المسلمين من ورائه إلى رعاية كل يتيم ، وإلى كفاية كل سائل ، وإلى التحدث بنعمة الله الكبرى عليه ، وفى أولها الهداية إلى هذا الدين ، فالتحدث بنعمة الله صورة من صور شكر المنعم ، يكملها البر بعباده ، وهو المظهر العملى للشكر ، والحديث الصامت النافع الكريم .

سورة الشرح

نزلت هذه السورة بعد سورة الضحى ، وكأنها تكملة لها ، فيها ظل العطف الندى ، وفيها روح المناجاة الحبيب ، وفيها استحضار مظاهر العناية ، واستعراض مواقع الرعاية ، وفيها البشر باليسر والفرح ، وفيها التوجيه إلى سر اليسر وحبل الاتصال الوثيق ، وهى توحى بأن هناك ضائقة كانت فى روح الرسول ﷺ لأمر من أمور هذه الدعوة التى كلفها ، ومن العقبات الوعرة

فى طريقها ،ومن الكيد والمكر المضروب حولها ، توحى بأن صدره ﷺ كان مثقلا بهموم هذه الدعوة الثقيلة ، وأنه كان فى حاجة إلى عون ومدد وزاد ورصيد .

ثم كانت هذه المفاجأة الحلوة وهذا الحديث الودود ، ألم نشرح صدرك لهذه الدعوة ونيسر لك أمرها ؟ ونجعلها حبيبة لقلبك ونشرع لك طريقها ؟ وننر لك الطريق حتى ترى نهايته السعيدة ، فتش فى صدرك ، واستعد فى حسك مذاق هذا العطاء ، وقل : ألا تجد معه المتاع مع كل مشقة والراحة مع كل تعب ، واليسر مع كل عسر ، والرضا مع كل حرمان ؟ ووضعنا عنك عبئك الذى أثقل ظهرك حتى كاد يحطمه من ثقله،وضعناه عنك بشرح صدرك له، فخف وهان، وبتوفيقك وتيسيرك للدعوة ومداخل القلوب ، وبالوحى الذى يكشف لك عن الحقيقة ويعينك على التسلل بها إلى النفوس فى يسر وهوادة ولين .

ورفعنا ذكرك فى الملأ الأعلى ، رفعناه فى الأرض ، ورفعناه فى هذا الوجود جميعا ، رفعناه فجعلنا اسمك مقرونا باسم الله كلما تحركت به الشفاه ، ورفعنا لك ذكرك فى اللوح المحفوظ ، حين قدر الله أن تمر القرون وتكر الأجيال ، وملايين الشفاه فى كل مكان تهتف بهذا الاسم الكريم مع الصلاة والتسليم ، فأين تقع المشقة من هذا العطاء ؟

ومع هذا فإن الله يتلطف مع حبيبه المختار ويسرى عنه ، ويؤنسه ويطمئنه ويطلعه على اليسر الذى لا يفارقه ، فإن العسر لايخلو من يسر يصاحبه ويلازمه ، فقد لازمه معك ، فحينما ثقل العبء شرحنا لك صدرك فخف حملك الذى أثقل ظهرك ، وكان اليسر مصاحبا للعسر ويجىء التوجيه لمواقع التيسير وأسباب الانشراح ؛ فإذا فرغت من عمل من أعمالك النافعة لك ولأمتك فخذ فى عمل آخر واتعب فيه ،فإنك تجد لذة الراحة عقب النصب بما تجنيه من ثمرة العمل ، ولا ترغب فى عملك هذا إلا إلى الله دون ثواب أو غرض آخر ؛ لتكون دعوتك وهدايتك إليه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ المسلم يعطف على اليتيم ، ويساعد المحتاج ، ويتحدث بنعمة ربه ، ويشكره عليها .

٢ ـ على المسلم أن يطيع الرسول ﷺ فيما أمر به ، وأن ينتهى عما نهى عنه ، ويتوقع الفرج من الله بعد الشدائد .

٣ ـ إخلاص النية والعمل لله وحده فى جميع المجالات .

الجزء الثلاثون — سورة التين — سورة العلق

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ
﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾
فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْعَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ
الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ
الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ
بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن
لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ
﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾

٥٩٧

معانى الكلمات :

طور سنين : جبل الطور .

البلد الأمين : مكة المكرمة .

أحسن تقويم : أحسن صورة .

ممنون : مقطوع .

علق : دم جامد استحال إليه المنى .

لنسفعاً بالناصية : لنسحبنه بناصيته إلى النار .

ناديه :أهل مجلسه من قومه وعشيرته .

الزبانية : ملائكة العذاب .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم قيمة الإيمان والعمل الصالح فى حياة الإنسان .

٢ ـ أن نعلم مكانة العلم فى الإسلام .

٣ ـ أن نستشعر سبب جحود الإنسان لنعم ربه وعاقبته .

المحتوى التربوى :

يقول القاسمى : « قال شيخ الإسلام ابن تيمية : أقسم بالتين والزيتون ، وهو الأرض المقدسة التى ينبت فيها ذلك ، ومنها بعث المسيح وأنزل عليه فيها الإنجيل ، وأقسم بطور سيناء وهو الجبل الذى كلم الله موسى وناداه فيه من واديه الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة ، وأقسم بهذا البلد الأمين وهو مكة الذى أسكن إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه هاجر فيه ، وهو الذى جعله الله حرما آمنا ويتخطف الناس من حوله ، وجعله آمنا خلقا وأمراً ، قدراً وشرعا ، فهذه الآية قسم بأول مهابط الوحى ، وأكرم أماكن التجلى الإلهى على أنبيائه الأربعة ، الذين بقيت شرائعهم للآن ، وأرسلهم الله لهداية الناس الذين خلقهم فى أحسن تقويم » .

وتبدو عناية الله بخلق هذا الإنسان ابتداء فى أحسن تقويم ، والله ـ سبحانه ـ أحسن كل شىء خلقه ، فتخصيص الإنسان هنا بحسن التركيب ، وحسن التقويم ، وحسن التعديل فيه فضل عناية بهذا المخلوق ، وعناية الله بأمر هذا المخلوق ـ على ما به من ضعف ، وعلى ما يقع منه من انحراف عن الفطرة وفساد ـ لتشير إلى أن له شأنا عند الله ووزناً فى نظام هذا الوجود ، وتتجلى هذه العناية فى خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق ، والتركيز فى هذا المقام على خصائصه الروحية ، فهى التى تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان المستقيم معها ، إذ إنه من الواضح أن خلقته البدنية لا تنتكس إلى أسفل سافلين .

وفى هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الإنسانى ، فهو مهيأ ـ حين ينتكس ـ لأن يهوى إلى الدرك الذى لا يبلغ إليه مخلوق قط حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم ، لاستقامتها على فطرتها ، وأداء وظيفتها فى الأرض على هدى ، بينما المخلوق فى أحسن تقويم يجحد ربه، ويرتكس مع هواه ، إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه ، فحين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذى هداه الله إليه وبينه له ، وتركه ليختار أحد النجدين إلا أهل الإيمان ، فهؤلاء هم الذين يبقون على سواء الفطرة ، ويكملونها بالإيمان والعمل الصالح ، ويرتقون بها إلى الكمال المقدر لها ،حتى ينتهوا بها إلى حياة الكمال فى دار الكمال،فلهم أجر دائم غير مقطوع .

يقول صاحب الظلال : « ومن ثم تتجلى قيمة الإيمان فى حياة الإنسان .. إنه المرتقى الذى تصل فيه الفطرة القويمة إلى غاية كمالها ، إنه الحبل الممدود بين الفطرة وبارئها ، إنه النور الذى يكشف لها مواقع خطاها فى المرتقى الصاعد إلى حياة الخالدين المكرمين، وحين ينقطع هذا الحبل، وحين ينطفىء هذا النور ، فالنتيجة الحتمية هى الارتكاس فى المنحدر الهابط إلى أسفل سافلين ، والانتهاء إلى إهدار الآدمية كلية ، حين يتمحض الطين فى الكائن البشرى ، فإذا هو وقود النار مع الحجارة سواء بسواء » .

وفى ظل هذه الحقيقة ينادى الإنسان ما يكذبك بالجزاء فى المعاد ، وقد علمت البدأة ، أليس الخالق بأحكم الحاكمين ، الذى لا يجور ولا يظلم أحداً ، ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم فى الدنيا ممن ظلمه .

سورة العلق

مطلع هذه السورة هو أول ما نزل من القرآن باتفاق ، وهى تبدأ باسم الله ، وتوجه الرسول ﷺ أول ما توجه ، فى أول لحظة من لحظات اتصاله بالملأ الأعلى ، وفى أول خطوة من خطواته فى طريق الدعوة التى اختير لها ، توجهه إلى أن يقرأ باسم الله ، وتبدأ من صفات الرب بالصفة التى بها الخلق والبدء ثم تخصص : خلْق الإنسان ومبدأه من تلك النقطة الدموية الجامدة العالقة بالرحم ، فتدل على كرم الخالق فوق ما تدل على قدرته ، فمن كرمه رفع هذا العلق إلى درجة الإنسان الذى يُعلم فيتعلم ، وإنها لنقلة بعيدة جداً بين المنشأ والمصير ، ولكن الله قادر ، ولكن الله

كريم ، ومن ثم كانت هذه النقلة التى تدير الرؤوس وإلى جانب هذه الحقيقة تبرز حقيقة التعليم، تعليم الرب للإنسان بالقلم ؛ لأن القلم كان ـ وما يزال ـ أوسع وأعمق أدوات التعليم أثراً فى حياة الإنسان ، ثم تبرز مصدر التعليم ، إن مصدره هو الله ، منه يستمد الإنسان كل ما علم ، وكل ما يعلم ، وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود ومن أسرار هذه الحياة ، ومن أسرار نفسه ، فهو من هناك ، ومن ذلك المصدر الواحد ، الذى ليس هناك سواه .

يقول صاحب الظلال : « بهذا المقطع وضعت قاعدة التصور الإيمانى العريضة : كل أمر كل حركة كل خطوة . كل عمل . باسم الله . وعلى اسم الله . باسم الله تبدأ . وباسم الله تسير . وإلى الله تتجه . وإليه تصير ، والله هو الذى خلق ، وهو الذى علَّم ، فمنه البدء والنشأة ، ومنه التعليم والمعرفة ، والإنسان يتعلم ما يتعلم ، ويعلم ما يعلم ، فمصدر هذا كله هو الله الذى خلق والذى علم » .

والله عز وجل هو الذى أعطى الإنسان فأغناه ، كما أنه هو الذى خلقه وأكرمه وعلمه ، ولكن الإنسان فى عمومه ـ لا يستثنى إلا من يعصمه إيمانه ـ لا يشكر حين يعطى فيستغنى ، ولا يعرف مصدر النعمة التى أغنته ثم هو يطغى ويتكبر من حيث كان ينبغى أن يعرف ثم يشكر وأين يذهب هذا الذى طغى واستغنى ؟

يقول صاحب الظلال : « تبرز قاعدة أخرى من قواعد التصور الإيمانى ؛ قاعدة الرجعة إلى الله . الرجعة إليه فى كل شىء وفى كل أمر ، وفى كل نية ، وفى كل حركة ، فليس هناك مرجع سواه ، إليه يرجع الصالح والطالح ، والطائع والعاصى ، والمحق والمبطل ، والخير والشرير ، والغنى والفقير ، وإليه يرجع هذا الذى يطغى أن رآه استغنى ، ألا إلى الله تصير الأمور ، ومنه النشأة وإليه المصير » .

ويعرض السياق صورة من صور الطغيان ، أرأيت هذا الأمر المستنكر يقع من الذى ينهى عبداً عن الصلاة ، فما ظنك إن كان هذا الذى تنهاه على الطريقة المستقيمة فى فعله ، أو أنه يأمر بالتقوى بقوله ، وأنت تزجره ، ولهذا قال الله : أما علم هذا الناهى لهذا المهتدى أن الله يراه ويسمع كلامه ، وسيجازيه ، فلئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق ، لنأخذنه بناصيته إلى النار ، ولودعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب، فلا تطعه فيما ينهاك عنه، من المداومة على العبادة وكثرتها، فالله حافظك وناصرك ، فاسجد لربك واقترب منه بالطاعة والعبادة ، ودعه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ إظهار شرف الأماكن المقدسة ،وتنبيه المسلم إلى الحفاظ عليها وعلى قدسيتها .

٢ ـ دعوة الإسلام إلى القراءة والكتابة والعلم ؛ لأنه سبيل الحياة الراقية ، وأساس التقدم .

٣ ـ الإنسان يطغى بشعوره الاستغناء ، والمسلم يعلم أنه راجع إلى ربه لينال جزاءه .

الجزء الثلاثون — سورة القدر — سورة البينة

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴿١﴾ وما أدراك ما ليلة القدر ﴿٢﴾
ليلة القدر خير من ألف شهر ﴿٣﴾ تنزل الملائكة والروح
فيها بإذن ربهم من كل أمر ﴿٤﴾ سلام هي حتى مطلع الفجر ﴿٥﴾

سورة البينة

بسم الله الرحمن الرحيم

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين
حتى تأتيهم البينة ﴿١﴾ رسول من الله يتلو صحفا مطهرة ﴿٢﴾
فيها كتب قيمة ﴿٣﴾ وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من
بعد ما جاءتهم البينة ﴿٤﴾ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين
القيمة ﴿٥﴾ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴿٦﴾ إن
الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴿٧﴾

٥٩٨

معانى الكلمات :

القدر : الشرف والعظمة .

من كل أمر : بكل أمر من الخير والبركة .

منفكين : مبتعدين عن الكفر .

البينة : الحجة الواضحة .

مطهرة : منزهة عن الباطل .

حنفاء : مائلين عن الباطل إلى الإسلام .

القيمة : الملة المستقيمة .

البرية : الخلائق أو البشر .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم منزلة ليلة القدر ، والمطلوب منا تجاه هذه الليلة .

٢ ـ أن نعلم الحقائق الإيمانية الأربع التى اشتملت عليها سورة البينة .

٣ ـ أن نستشعر حقيقة الدين .

المحتوى التربوى :

الحديث فى هذه السورة عن تلك الليلة الموعودة المشهودة التى سجلها الوجود كله فى فرح وغبطة وابتهال ، ليلة الاتصال المطلق بين الأرض والملأ الأعلى ، ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمد ﷺ ، ليلة ذلك الحدث العظيم الذى لم تشهد مثله فى عظمته وفى دلالته ، وفى آثاره فى حياة البشرية جميعا ، العظمة التى لا يحيط بها الإدراك البشرى .

والليلة التى تتحدث عنها السورة هى الليلة التى جاء ذكرها فى سورة الدخان ، والمعروف أنها ليلة من ليالى رمضان أى التى بدأ فيها نزول القرآن على قلب الرسول ليبلغه إلى الناس ، واسمها ليلة القدر ، قد يكون معناه التقدير والتدبير ، وقد يكون معناه القيمة والمقام ، وكلاهما

يتفق مع ذلك الحدث الكونى العظيم ، حدث القرآن والوحى والرسالة ، وليس أعظم منه ولا أقوم فى أحداث هذا الوجود ، وليس أدل منه كذلك على التقدير والتدبير فى حياة العبيد .

وهى خير من ألف شهر ، والعدد لايفيد التحديد فى مثل هذه المواضع من القرآن ، إنما هو يفيد التكثير ، والليلة خير من آلاف الشهور فى حياة البشر ، والليلة من العظمة بحيث تفوق حقيقتها حدود الإدراك البشرى ،فهى ليلة عظيمة باختيار الله لها لبدء تنزيل هذا القرآن ، وإفاضة هذا النور على الوجود كله ، وإسباغ السلام الذى فاض من روح الله على الضمير البشرى والحياة الإنسانية ، وبما تضمنه هذا القرآن من عقيدة وتصور وشريعة وآداب تشيع السلام فى الأرض والضمير ، وتنزيل الملائكة وجبريل ﷺ خاصة ، بإذن ربهم ، ومعهم هذا القرآن وانتشارهم فيما بين السماء والأرض فى هذا المهرجان الكونى .

وحين ننظر اليوم من وراء الأجيال المتطاولة إلى تلك الليلة المجيدة السعيدة ، فإننا نرى أمراً عظيما حقا ، فلقد فرق فيها من كل أمر حكيم ، وقد وضعت فيها من قيم وأسس وموازين ، وقد قررت فيها من أقدار أكبر الأفراد ، أقدار أمم ودول وشعوب بل أكثر وأعظم ، أقدار حقائق وأوضاع وقلوب ، ونحن ـ المؤمنين ـ مأمورون ألا ننسى ولا نغفل هذه الذكرى ، وقد جعل لنا نبينا ﷺ سبيلا هينا لينا لاستحياء هذه الذكرى فى أرواحنا لتظل موصولة بها أبداً ، موصولة بالحدث الكونى الذى كان فيها ، وذلك فيما حثنا عليه من قيام هذه الليلة من كل عام ، ومن تحريها والتطلع إليها فى الليالى العشر الأخيرة من رمضان ، والمنهج الإسلامى فى التربية يربط بين حقائق العقيدة فى الضمير ، ويجعل العبادة وسيلة لاستحياء هذه الحقائق وتثبيتها فى صورة حية تتخلل المشاعر ولا تقف عند حدود التفكير .

سورة البينة

سورة البينة : هذه السورة معدودة فى المصحف وفى أكثر الروايات أنها مدنية ، وقد وردت بعض الروايات بمكيتها ، والسورة تعرض عدة حقائق تاريخية وإيمانية:

الحقيقة الأولى : هى أن بعثة الرسول ﷺ كانت ضرورية لتحويل الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين عما كانوا قد انتهوا إليه من الضلال والاختلاف ، وما كانوا ليتحولوا عنه بغير هذه البعثة .

والحقيقة الثانية : إن أهل الكتاب لم يختلفوا فى دينهم عن جهالة ولا عن غموض فيه ، إنما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم ، وجاءتهم البينة .

والحقيقة الثالثة : إن الدين فى أصله واحد ، وقواعده بسيطة واضحة ، ولا تدعو إلى التفرق والاختلاف فى ذاتها وطبيعتها البسيطة اليسيرة .

والحقيقة الرابعة : إن الذين كفروا بعدما جاءتهم البينة هم شر البرية ، وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية ، ومن ثم يختلف جزاء هؤلاء عن هؤلاء اختلافا بينا ، وهذه الحقائق الأربع ذات قيمة فى إدراك دور العقيدة الإسلامية ودور الرسالة الأخيرة ، وفى التصور الإيمانى كذلك نفصلها فيما يلى:

فلقد كانت الأرض فى حاجة ماسة إلى رسالة جديدة ،فالكفر قد تطرق إلى عقائد أهل الأرض جميعا سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرفوها ، أو المشركون فى الجزيرة العربية وفى خارجها سواء ، وما كانوا منتهين حتى يتبين لهم الحق بهذه الرسالة الجديدة ، وعلى يد الرسول ﷺ الذى يقرأ على ظهر قلبه ، وما تضمنته تلك الصحف المطهرة من الباطل ، والمشتملة على كتب من عند الله مستقيمة لا انحراف فيها عن الحق ، ولا بعد عن الهدى ، والكتب التى فى صحف القرآن إما أن تكون ما صح من كتب الأولين كموسى وعيسى وغيرهما ، أو هى سور القرآن ، فإن كل سورة من سوره كتاب قويم .

وأهل الكتاب خاصة لم يتفرقوا ويختلفوا فى دينهم عن جهل أو غموض فى الدين أو تعقيد ، إنما هم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم ومن بعد ما جاءتهم البينة من دينهم على أيدى رسلهم ، على أن الدين فى أصله واضح العقيدة فى ذاتها بسيطة ، وهذه هى قاعدة دين الله على الإطلاق : عبادة الله وحده وإخلاص الدين له ، والميل عن الشرك وأهله ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، عقيدة خالصة فى الضمير ، وعبادة لله ، تترجم عن هذه العقيدة ، وإنفاق للمال فى سبيل الله ، والزكاة ، وذلك دين الأمة المستقيمة العادلة .

ويأتى الحكم القاطع بأن أهل الكتاب مهما يكن من صلاح بعض أعمالهم وآدابهم ونظمهم ما دامت تقوم على غير إيمان بهذه الرسالة الأخيرة ، وبهذا الرسول الأخير ـ هم شر الخليقة وهم فى جهنم لا يحولون عنها ولا يزولون ، أما الأبرار الذين آمنوا الإيمان الذى ينشئ آثاره فى واقع الحياة ، وعملوا الصالحات ، وليس هو الكلام الذى لا يتعدى الشفاه ، فمن كانوا كذلك فهم خير البرية .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ عظمة القرآن الكريم ؛ لأنه كلام الله تعالى ، وعظمة ليلة القدر وشرفها حيث ابتدئ نزول القرآن فيها .

٢ ـ الشرائع السماوية كلها متحدة فى الدعوة إلى توحيد الله،وفى الدعوة إلى الأخلاق الحميدة.

٣ ـ الإخلاص أساس العقيدة والعبادة،فإذا كانت النية لغير وجه الله فلا ثواب على الأعمال.

جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ الزَّلْزَلَة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا
﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾
بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

سُورَةُ العَادِيَات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا
﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ
ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾

٥٩٩

معانى الكلمات :

زلزلت الأرض : حركت تحريكا شديداً .

أثقالها : كنوزها وموتاها فى النفخة الثانية .

يصدر الناس : يخرجون من قبورهم إلى المحشر .

العاديات : الخيل تعدو فى الغزو .

ضبحا : صوت أنفاسها إذا عدت .

فالموريات قدحا : المخرجات النار باحتكاك حوافرها بالأحجار .

فالمغيرات صبحا : المفاجئات للعدو وقت الصباح .

فأثرنا به نقعا : هيجن فى الصبح غبارا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر أهوال يوم القيامة ، ووقعها على استعدادنا لها .

٢ ـ أن نعلم طبيعة النفس البشرية كما تصورها سورة العاديات .

٣ ـ أن نعلم وسائل تهذيب النفس البشرية التى ذكرتها سورة العاديات .

المحتوى التربوى :

يوضح السياق جزاء خير البرية فلهم عند ربهم جنات للإقامة الدائمة فى نعيمها ، تجرى الأنهار من تحتها ثم يرتقى السياق درجة أو درجات فى تصوير هذا النعيم المقيم ؛ فلهم الرضا من الله وهو أعلى وأندى من كل نعيم، والرضا فى نفوسهم عن ربهم ، الرضا عن قدره فيهم وإنعامه عليهم ، والرضا بهذه الصلة بينه وبينهم ، وهذا الجزاء كله متوقف على صلة القلب بالله ، ونوع هذه الصلة ،و الشعور بخشيته خشية تدفع إلى كل صلاح ، وتنهى عن كل انحراف ، فالذى يخشى ربه حقا لا يملك أن يخطر فى قلبه ظلاً لغيره من خلقه .

سورة الزلزلة

هذه السورة هزة عنيفة للقلوب الغافلة ، وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها ، فما يكادون يفيضون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء ؛ ففى يوم القيامة ترتجف الأرض ارتجافا ، وتزلزل زلزالا ، وتنفض ما فى جوفها نفضا ، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلا ، وكأنها تتخفف من هذه الأثقال التى حملتها طويلا ، وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء ثابت ، ويزيد هذا الأثر وضوحا بتصوير الإنسان حيال المشهد المعروض ، ورسم انفعالاته وهو يشهده ، وهو سؤال المشدوه المبهوت ، المفجوء ، ويشهد ما لا يملك الصبر أمامه ويوم يقع هذا الزلزال يومئذ تحدث هذه الأرض أخبارها وتصف حالها وما جرى لها، لقد كان ما كان لها بأن الله أمرها أن تزلزل زلزالها وتخرج أثقالها ، فهذا الحال حديث واضح عما وراءه من أمر الله ووحيه إليها .

وفى لمحة نرى مشهد القيام من القبور ، نرى شتيتا منبعثا من أرجاء الأرض ، مشهد الخلائق فى أجيالها جميعا تنبعث من هنا وهناك إلى حيث تعرض عليهم أعمالهم ليواجهوها ، ويواجهوا جزاءها وإن من عمله ما يهرب من مواجهته بينه وبين نفسه ، فكيف به وهو يواجه بعمله على رؤوس الأشهاد فى حضرة الجليل العظيم الجبار المتكبر ؟ ! إنها عقوبة هائلة رهيبة ، مجرد أن يُروا أعمالهم ، ووراء رؤيتها الحساب الدقيق ، وعندئذ لا يحقر الإنسان شيئا من عمله ، خيراً كان أو شراً ، فالميزان الدقيق لا يدع ذرة من خير أو شر لا يزنها ولا يجازى عليها ، ولا يوجد لهذا الميزان نظير إلا فى القلب المؤمن الذى يرتعش لمثقال ذرة من خير أو شر ، وفى الأرض قلوب لا تتحرك للجبل من الذنوب والمعاصى والجرائر ، ولا تتأثر وهى تسحق رواسى من الخير دونها رواسى الجبال .

سورة العاديات

يقسم الله سبحانه بخيل المعركة ، ويصف حركاتها واحدة واحدة منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجرى ، قارعة للصخر بحوافرها حتى تورى الشرر منها ، مغيرة فى الصباح الباكر لمفاجأة العدو ، مثيرة للنقع والغبار ، غبار المعركة على غير انتظار ، وهى تتوسط صفوف الأعداء على غرة فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب .

إنها خطوات المعركة على ما يألفه المخاطبون بالقرآن أول مرة ، والقسم بالخيل فى هذا الإطار فيه إيحاء قوى بحب هذه الحركة والنشاط لها ، بعد الشعور بقيمتها فى ميزان الله و التفاته سبحانه إليها .

قال القاسمى: « قال الإمام ـ يقصد الإمام محمد عبده ـ رحمه الله : أقسم تعالى بالخيل متصفة بصفاتها التى ذكرها ، آتية بالأعمال التى سردها لينوه بشأنها ويعلى من قدرها فى نفوس المؤمنين أهل العمل والجد ، ليعنوا بقنيتها وتدريبها على الكر والفر ، وليحملهم أنفسهم على العناية بالفروسية والتدرب على ركوب الخيل ، والإغارة بها ، ليكون كل واحد منهم مستعداً فى أى وقت كان لأن يكون جزءًا من قوة الأمة إذا اضطرت إلى صد عدو ، أو بعثها باعث على كسر شوكته .. ».

أما الذى يقسم الله ـ سبحانه ـ عليه ، فهو حقيقة فى نفس الإنسان حين يخوى قلبه من دوافع الإيمان ، حقيقة ينبه القرآن عليها ، ليجند إرادته لكفاحها ، فالإنسان يجحد نعمة ربه ، وينكر جزيل فضله ، ويتمثل جحوده فى مظاهر شتى تبدو منه أفعالا وأقوالا ، فتقوم عليه مقام الشاهد الذى يقرر هذه الحقيقة ، وكأنه يشهد على نفسه بها ، أو لعله يشهد على نفسه يوم القيامة بالجحود يوم ينطق بالحق ، وهو شديد الحب لنفسه ، ومن ثم يحب الخير ، ولكن كما يتمثله مالا وسلطة ومتاعا بأعراض الحياة الدنيا وهذه فطرته ، وهذا طبعه ما لم يخالط الإيمان قلبه فيغير من تصوراته وقيمه وموازينه واهتماماته ، ويخيل كنوده وجحوده اعترافا بفضل الله وشكرانا ، كما يبدل أثرته وشحه إيثاراً ورحمة ، ويريه القيم الحقيقية التى تستحق الحرص والتنافس والكد والكدح ، وهى قيم أعلى من المال والسلطة والمتاع الحيوانى بأعراض الحياة الدنيا .

يقول صاحب الظلال : « إن الإنسان ـ بغير إيمان ـ حقير صغير . حقير المطامع ، صغير الاهتمامات ، ومهما كبرت أطماعه ، واشتد طموحه ، وتعالت أهدافه ، فإنه يظل مرتكسا فى حمأة الأرض مقيدًا بحدود العمر ، سجينا فى سجن الذات ، لا يطلقه ولا يرفعه إلا الاتصال بعالم أكبر من الأرض ، وأبعد من الحياة الدنيا ، وأعظم من الذات ، عالم يصدر عن الله الأزلى ، ويعود إلى الله الأبدى ، وتتصل فيه الدنيا بالآخرة إلى غير انتهاء » .

ومن ثم تجىء اللفتة الأخيرة فى السورة لعلاج الجحود والأثرة ، والشح ، لنتساءل : ألا يعلم هذا ويذكر بعثرة لما فى القبور؟ !

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ على الإنسان ألا يحتقر شيئا من عمل الخير ولا شيئا من الذنوب مهما كان قليلا .

٢ ـ أهمية الجهاد فى سبيل الله بأى وسيلة ، وقد كانت الخيل أهم الوسائل الحربية فى صدر الإسلام .

٣ ـ الإنسان بغير إيمان حقير المطامع صغير الاهتمامات .

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

٦٠٠

معانى الكلمات :

القارعة : القيامة .

المبثوث: المتفرق المنتشر .**كالعهن المنفوش**: الصوف المتمزق بالأصابع .

فأمه هاوية : فمأواه جهنم يهوى فيها .

التكاثر : التباهى بكثرة متاع الدنيا .

عين اليقين : نفس اليقين وهو المشاهدة .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم مشاهد يوم القيامة ومصائر الناس فيه كما وصفتها سورة القارعة .

٢ ـ أن نستشعر صوت النذير الذى نبهت إليه سورة التكاثر .

٣ ـ أن نعلم الأحداث التى قد يلقاها الإنسان فى قبره .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق يبين فى مشهد عنيف بعثرة ما فى القبور ،و تحصيل الأسرار من الصدور التى ضنت بها وخبأتها بعيداً عن العيون ، أفلا يعلم صاحب الشح والأثرة والجحود إذا كان هذا ؟ ولا يذكر ماذا يعلم ؟ لأن علمه بهذا وحده يكفى لهز المشاعر ، ثم ليدع النفس تبحث عن الجواب ، وتتصور كل ما يمكن أن يصاحب هذه الحركات العنيفة من آثار وعواقب ، ويختم هذه الحركات الثائرة باستقرار ينتهى إليه كل شىء ، وكل أمر وكل مصير ، فالمرجع إلى ربهم ، وإنه لخبير بهم يومئذ وبأحوالهم وأسرارهم ، والله خبير بهم فى كل وقت وفى كل حال ، ولكن

لهذه الخبرة يومئذ آثار هى التى تثير انتباههم لها فى هذا المقام ، إنها خبرة وراءها عاقبة ، خبرة وراءها حساب وجزاء .

سورة القارعة

القارعة : القيامة ، كالطامة ، والصاخة، والحاقة، والغاشية، والقارعة توحى بالقرع واللطم ، فهى تقرع القلوب بهولها ، والسورة كلها عن هذه القارعة ، حقيقتها وما يقع فيها ، وما تنتهى إليه ، فهى تعرض مشهداً من مشاهد القيامة ، والمشهد المعروض هنا مشهد هول تتناول آثاره الناس والجبال ، فيبدو الناس فى ظله صغارا ضئالا على كثرتهم ، فهم كالفراش المنتشر ، مستطارون مستخفون فى حيرة الفراش الذى يتهافت على الهلاك ، وهو لا يملك لنفسه وجهة ، ولا يعرف له هدفا ، وتبدو الجبال التى كانت ثابتة راسخة كالصوف المنفوش تتقاذفه الرياح وتعبث به حتى الأنسام .

ولقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة بلا خبر ولا صفة ، ثم أعقبها سؤال التهويل ما القارعة فهى الأمر المستهول الغامض الذى يثير الدهش والتساؤل ، ثم أجاب بسؤال التجهيل ، فهى أكبر من أن يحيط بها الإدراك ، وأن يلم بها التصور ، ثم الإجابة بما يكون فيها ، لا بما هيتها ، فما هيتها فوق الإدراك والتصور كما أسلفنا .

هذا هو المشهد الأول للقارعة يحس السامع كأن كل شىء يتشبث به فى الأرض قد طار حوله هباء ، ثم تجىء الخاتمة للناس جميعا ، فثقل الموازين وخفتها تفيدنا : قيما لها عند الله اعتبار ، وقيما ليس لها عنده اعتبار ، فأما من رجحت حسناته على سيئاته،وثقلت موازينه فى اعتبار الله وتقويمه فهو فى الجنة فى عيشة راضية ، ويدعها مجملة بلا تفصيل توقع فى الحس ظلال الرضا وهو أروح النعيم .

وأما من رجحت سيئاته على حسناته ، وخفت موازينه فى اعتبار الله وتقويمه ، فأمه التى يرجع إليها ، ويصير فى المعاد إليها والأم هى مرجع الطفل وملاذه ـ هاوية وهى اسم من أسماء النار ، ويأتى سؤال التجهيل والتهويل المعهود فى القرآن ؛ لإخراج الأمر عن حدود التصور وحيز الإدراك ، ويجىء الجواب : هذه هى أم الذى خفت موازينه ، أمه التى يفىء إليها ويأوى ، والأم عندها الأمن والراحة ، فماذا هو واجد عند أمه هذه ... الهاوية ... النار .. الحامية ...

سورة التكاثر

هذه السورة كأنما هى صوت نذير ، قائم على شرف عال ، يمد بصوته ويدوى بنبرته ، يصيح بنوّم غافلين مخمورين سادرين ، أشرفوا على الهاوية وعيونهم مغمضة ، وحسهم مسحور ، فهو

يمد بصوته إلى أعلى وأبعد ما يبلغ : أيها السادرون المخمورون ، أيها اللاهون المتكاثرون بالأموال والأولاد وأعراض الحياة وأنتم مفارقون ، أيها المخدوعون بما أنتم فيه عما يليه ، أيها التاركون ما تتكاثر فيه وتتفاخرون إلى حفرة ضيقة لا تكاثر فيها ولا تفاخر ، استيقظوا وانظروا فقد أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها ، وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها ؟ !

ثم يقرع قلوبهم بهول ما ينتظرهم هناك بعد زيارة المقابر فى وعيد بعد وعيد ، ثم يزيد التوكيد عمقا ورهبة ، وتلويحا بما وراءه من أمر ثقيل ، لا يتبينون حقيقته الهائلة فى غمرة الخمار والاستكثار ، فلو علمتم حق العلم ، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ، ثم يكشف عن هذه الحقيقة المطلوبة الرهيبة ، وهى رؤية النار التى إذا زفرت زفرة خر كل ملك مقرب ، ونبى مرسل على ركبتيه ، من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال ، ثم يؤكد هذه الحقيقة ويعمق وقعها الرهيب فى القلوب بوقع رؤيتها ومشاهدتها ، ثم يلقى بالإيقاع الأخير ، الذى يدع المخمور يفيق ، والغافل ينتبه ، والناعم يرتعش ويرتجف مما فى يديه من نعيم لتسألن عنه من أين نلتموه ؟ وفيم أنفقتموه ؟ أمن طاعة وفى طاعة ؟ أم من معصية وفى معصية ؟ أمن حلال وفى حلال؟ أمن حرام وفى حرام ؟ هل شكرتم ؟ هل أديتم ؟ هل شاركتم هل استأثرتم؟ لتسألن عما تتكاثرون به وتتفاخرون ، فهو عبء تستخفونه فى غمرتكم ولهوكم ، ولكن وراءه ما وراءه من هم ثقيل .

يقول صاحب الأساس : « عالجت السورة موضوع انشغال الإنسان عن العبادة والتقوى ، وبينت أن علاج ذلك هو العلم اليقينى بما يكون أمام الإنسان، وبتذكر الجحيم، وتذكر السؤال .

وفى السورة إنكار على من ينشغل بالتكاثر عن طاعة الله وإنذار له ، وتهديد ووعيد ، وذلك كله تأديب للإنسان أن ينشغل عن حقوق الله عز وجل بشىء ، ومن السورة نعرف أن الانشغال بالنعمة عن المنعم خلق من أخلاق الكافرين ، فالنعمة تقتضى شكراً ، والشكر عبادة وتقوى » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ ضرورة الاستعداد ليوم القيامة بالإيمان والأعمال الصالحة فى الدنيا حتى ننجو من أهوال ذلك اليوم العصيب .

٢ ـ المؤمن لا ينشغل بمتاع الدنيا عن طلب الآخرة .

٣ ـ الإنسان سيسأل يوم القيامة عما أعطاه الله من النعم من أين اكتسبها ؟ وفى أى شىء أنفقها ؟ وهل شكر ربه على هذه النعم أم أنكر فضل الله عليه ؟

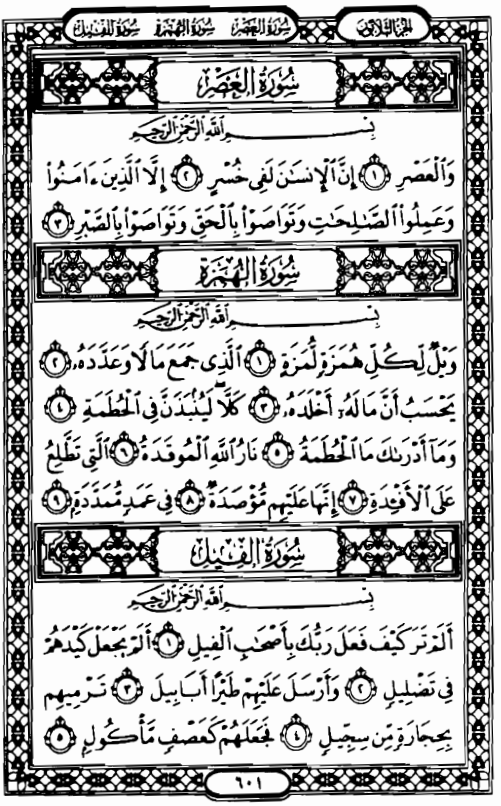

معانى الكلمات :

والعصر : قسم بالزمان الذى تحدث فيه أعمال بنى آدم .

خسر : نقصان وضياع .

همزة لمزة : طعان غياب للناس .

لينبذن فى الحطمة : ليطرحن فى جهنم .

مؤصدة : مطبقة مغلقة أبوابها .

عمد ممدة : أعمدة ممدودة على أبوابها .

تضليل : تضييع وإبطال .

سجيل : طين متحجر مُحْرَق.

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم حقيقة الأمة المسلمة ووظيفتها كما بينت سورة العصر .

٢ ـ أن نتعرف على صورة اللئيم صغير النفس ومصيره كما أوضحت سورة الهمزة .

٣ ـ أن نتعرف على قصة أصحاب الفيل ودلالات هذه القصة .

المحتوى التربوى :

فى هذه السورة الصغيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحياة البشرية كما يريدها الإسلام ، وتضع الدستور الإسلامى كله فى كلمات قصار ، وتصف الأمة المسلمة ، حقيقتها ووظيفتها فى آية واحدة ، هى الآية الثالثة من السورة ، والعصر : الزمان الذى تقع فيه حركات بنى آدم من خير وشر ، وقد أقسم الله بذلك على أن الإنسان لفى خسارة وهلاك ، واستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم ، وعملوا الصالحات بجوارحهم.

يقول صاحب الظلال : « إن الإيمان هو أصل الحياة الكبير ، الذى ينبثق منه كل فرع من فروع الخير ، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره وإلا فهو فرع مقطوع من شجرته ، صائر إلى ذبول وجفاف .... وهو المحور الذى تشد إليه جميع خيوط الحياة الرفيعة ... وهو المنهج الذى يضم شتات الأعمال ... ومن ثم يهدر القرآن قيمة كل عمل لا يرجع إلى هذا الأصل ... والعمل

الصالح وهو الثمرة الطبيعية للإيمان ، والحركة الذاتية التى تبدأ فى ذات اللحظة التى تستقر فيها حقيقة الإيمان فى القلب ، فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة ما إن تستقر فى الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها فى الخارج فى صورة عمل صالح هذا هو الإيمان الإسلامى ، لا يمكن أن يظل خامداً لا يتحرك ... ومن هنا قيمة الإيمان ، إنه حركة وعمل وبناء وتعمير يتجه إلى الله ..» .

أما التواصى بالحق والتواصى بالصبر فتبرز من خلالها صورة الأمة المسلمة أن الجماعة المسلمة ـ ذات الكيان الخاص ، والرابطة المميزة والوجهة الموحدة ، الجماعة التى تشعر بكيانها كما تشعر بواجبها .

يقول صاحب الظلال : « والتواصى بالحق ضرورة ، فالنهوض بالحق عسير ، والمعوقات عن الحق كثيرة : هوى النفس، ومنطق المصلحة، وتصورات البيئة ، وطغيان الطغاة ، وظلم الظلمة، وجور الجائرين ، والتواصى تذكير وتشجيع وإشعار بالقربى فى الهدف والغاية ، والأخوة فى العبء والأمانة، فهو مضاعفة لمجموع الاتجاهات الفردية ... والتواصى بالصبر كذلك ضرورة ؛ فالقيام على الإيمان والعمل الصالح ، وحراسة الحق والعدل من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة ، ولابد من الصبر، لابد من الصبر على جهاد النفس، وجهاد الغير ، والصبر على الأذى والمشقة .. والصبر على طول الطريق وبطء المراحل والتواصى بالصبر يضاعف المقدرة بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف ووحدة المتجه ، وتساند الجميع ، وتزودهم بالحب والعزم والإصرار ... » .

سورة الهمزة

تعكس السورة صورة اللئيم الصغير النفس الذى يؤتى المال فتسيطر نفسه به ، ويروح يشعر أن المال هو القيمة العليا فى الحياة ، وأن هذا المال إله قادر على كل شىء ، ومن ثم ينطلق فى هوس بهذا المال يعده ويستلذ تعداده ، وتنطلق فى كيانه نفخة فاجرة ، تدفعه إلى الاستهانة بأقدار الناس وكراماتهم ، يعيبهم بلسانه ويسخر منهم بحركاته ، ويجىء التهديد ، فليس الأمر كما زعم ولا كما حسب،وليلقين هذا المنبوذ الذى جمع مالا وقدره فى الحطمة التى تحطم كل ما يلقى إليها، فتحطم كيانه وكبرياءه ، وهى نار موقدة من قبل الله فهى نار فذة ، وهى تطلع على فؤاده الذى ينبعث منه الهمز واللمز وتكمن فيه السخرية والكبرياء والغرور ، وتكملة لصورة المحطم المنبوذ المهمل .. هذه النار مغلقة عليه ، لا ينقذه منها أحد ، ولا يسأل عنه فيها أحد ، وهو موثق فيها إلى عمود كما توثق البهائم بلا احترام .

يقول صاحب الظلال : « وإنا لنرى فى عناية الله سبحانه بالرد على هذه الصورة معنيين كبيرين الأول : تقبيح الهبوط الأخلاقى وتبشيع هذه الصورة الهابطة من النفوس .

والثانى : المنافحة عن المؤمنين وحفظ نفوسهم من أن تتسرب إليها مهانة الإهانة ، وإشعارهم بأن الله يرى ما يقع لهم ، ويكرهه ، ويعاقب عليه ، وفى هذا كفاية لرفع أرواحهم واستعلائها على الكيد اللئيم » .

سورة الفيل

قال النسفى : « يعجب الله نبيه من كفر العرب ، وقد شاهدت هذه العظمة فى آيات الله ، والمعنى : أنك رأيت آثار صنع الله بالحبشة ، وسمعت الأخبار به متواترة ، فقامت لك مقام المشاهدة » .

ثم أكمل القصة بعد هذا المطلع فى صورة الاستفهام التقريرى كذلك : ألم يضل مكرهم فلا يبلغ هدفه وغايته ، فهم قد كادوا البيت أولا ببناء القلّيس ليصرفوا وجوه الحاج إليه ، فضلل كيدهم بإيقاع الحريق فيه ، وكادوه ثانيا بإرادة هدمه فضلل كيدهم بإرسال الطير عليهم ، والأبابيل: الجماعات . وسجيل كلمة فارسية مركبة من كلمتين تفيدان : حجر وطين . أو حجارة ملوثة بالطين . والعصف : الجاف من ورق الشجر ، ووصفه بأنه مأكول : أى فتيت طحين حين تأكله الحشرات وتمزقه أو حين يأكله الحيوان فيمضغه ويطحنه ، وهى صورة حسية للتمزيق البدنى بفعل هذه الأحجار التى رمتهم بها جماعات الطير .

يقول صاحب الظلال : « فأما دلالة هذا الحادث والعبر المستفادة من التذكير به فكثيرة ، وأول ما توحى به أن الله سبحانه ـ لم يرد أن يكل حماية بيته إلى المشركين ، ولو أنهم كانوا يعتزون بهذا البيت ، ويحمونه ويحتمون به ، فلما أراد أن ويصونه ويحرسه يعلن حمايته له وغيرته عليه ترك المشركين يهزمون أمام القوة المعتدية ، وتدخلت القدرة سافرة ، لتدفع عن بيت الله الحرام ... كذلك توحى دلالة هذا الحادث بأن الله لم يقدّر لأهل الكتاب ـ أبرهة وجنوده ـ أن يحطموا البيت الحرام أو يسيطروا على الأرض المقدسة ، حتى والشرك يدنسه ... والإيحاء الثالث هو أن العرب لم يكن لهم دور فى الأرض ، بل لم يكن لهم كيان قبل الإسلام ... وتحت راية الإسلام ولأول مرة فى تاريخ العرب أصبح لهم دور عالمى يؤدونه .. ولكن الذى هيأ للعرب هذا لأول مرة فى تاريخهم هو أنهم نسوا أنهم عرب نسوا نعرة الجنس وعصبية العنصر ... وذكروا أنهم مسلمون ، ومسلمون فقط ، ورفعوا راية الإسلام ... » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ لا يكتفى من المسلم بأن يتمسك بالحق فقط وإنما يطلب منه أن يوصى به غيره ويتواصوا أيضا بالصبر على هذا الحق .

٢ ـ ذم الناس والاستهزاء بهم وجمع المال من طريق الحرام والبخل به والتفاخر به خصال تجلب شقاء لصاحبها فى الدنيا والآخرة .

٣ ـ بيان كرامة الله للكعبة ، بيت الله الحرام وقبلة المسلمين ، وإذلال الله للمتكبرين .

معانى الكلمات :

لإيلاف قريش : ما تعودت عليه قريش من الرحلة .

البيت : الكعبة .

يدع اليتيم : يدفعه دفعا عنيفا عن حقه .

يحض : يحث . **الماعون** : ما يتعاوره الناس بينهم .

وانحر : واذبح الأضاحى تقربا إلى الله .

شانئك : مبغضك .

الأبتر : المقطوع الأثر أو الخير .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم المنن التى يذكر الله بها قريشا من بعثة الرسول ﷺ .

٢ ـ أن نستشعر طبيعة الدين وحقيقة العباده .

٣ ـ أن نعلم عدة المسلم فى مواجهة أعدائه .

المحتوى التربوى :

يذكر السياق ما كان تألفه قريش من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن ، وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك ، ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم لعظمتهم عند الناس ؛ ولكونهم سكان حرم الله ، فمن عرفهم احترمهم ، يذكر هم الله بهذه المنة، منة إيلافهم رحلتى الشتاء والصيف، ومنة الرزق الذى أفاضه عليهم بهاتين الرحلتين، وبلادهم قفرة جفرة وهم طاعمون هانئون من فضل الله ، ومنة أمنهم الخوف ، سواء فى عقر دارهم بجوار بيت الله أم فى أسفارهم وترحالهم فى رعاية حرمة البيت التى فرضها الله وحرسها من كل اعتداء .

يذكرهم بهذه المنن ليستحيوا مما هم فيه من عبادة غير الله معه ، وهو رب هذا البيت الذى يعيشون فى جواره آمنين طاعمين ، ويسيرون باسمه مرعيين ويعودون سالمين ، ذكّرهم ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة بأن يوحدوه بالعبادة .

سورة الماعون

هذه السورة مكية فى بعض الروايات ، ومكية مدنية فى بعض الروايات ، وهى تعالج حقيقة ضخمة تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر تبديلا كاملا ، فهذا الدين ليس دين مظاهر وطقوس ، ولا تغنى فيه مظاهر العبادات والشعائر ما لم تكن صادرة عن إخلاص لله وتجرد ، مؤدية بسبب هذا الإخلاص إلى آثار فى القلب تدفع إلى العمل الصالح ، وتتمثل فى سلوك تصلح به حياة الناس فى هذه الأرض وترقى ، فحقيقة الإيمان حين تستقر فى القلب تتحرك من فورها لكى تحقق ذاتها فى عمل صالح .

وتبدأ السورة بهذا الاستفهام الذى يوجه كل من تتأتى منه الرؤية ليرى ، فيقول تعالى : أرأيت الذى يكذب بالدين ؟ وهو المعاد والجزاء والثواب ، هو الذى يقهر اليتيم ويظلمه حقه ، والذى لا يحض على طعام المسكين ولا يوصى برعايته ، فلو صدق بالدين حقا ، ولو استقرت حقيقة التصديق فى قلبه ما كان ليدع اليتيم وما كان ليقعد عن الحض على طعام المسكين ، إن حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان ، إنما هى تحول فى القلب يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه فى البشرية ، المحتاجين إلى الرعاية والحماية ، والله لا يريد من الناس كلمات ، إنما يريد منهم معها أعمالا تصدقها ، وإلا فهى هباء لا وزن لها عنده ولا اعتبار .

ثم يرتب على هذه الحقيقة الأولى صورة تطبيقية من صورها : إنه دعاء أو وعيد بالهلاك للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، إنهم أولئك الذين يصلون ولكنهم لا يقيمون الصلاة.. الذين يؤدون حركات الصلاة وينطقون بأدعيتها، ولكن قلوبهم لا تعيش معها ، ولا تعيش بها، إنهم يصلون رياء للناس لا إخلاصا لله ، ومن ثم هم ساهون عن صلاتهم وهم يؤدونها ... ومن هنا لا تنشئ الصلاة آثارها فى نفوس هؤلاء المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون فهم يمنعون المعونة والبر والخير عن إخوانهم فى البشرية ، فلم يحسنوا عبادة ربهم ، ولم يحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، وهكذا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام حقيقة هذه العقيدة وأمام طبيعة هذا الدين ، ونجد نصا قرآنيا ينذر مصلين بالويل ؛ لأنهم لم يقيموا الصلاة حقا ، إنما أدوا حركات لا روح فيها ، ولم يتجردوا لله فيها .

سورة الكوثر

هذه السورة خالصة لرسول الله ﷺ كسورة الضحى ، وسورة الشرح ، يسرى عنه ربه فيها ، ويعده بالخير ، ويوعد أعداءه بالبتر ، ويوجهه إلى طريق الشكر ، ومن ثم فهى تمثل صورة من

حياة الدعوة وحياة الداعية فى أول العهد بمكة ، صورة من الكيد والأذى للنبى ﷺ ودعوة الله التى يبشر بها ، وصورة من رعاية الله المباشرة لعبده وللقلة المؤمنة معه ، ومن ثم تثبيت الله وتطمينه وجميل وعده لنبيه ومرهوب وعيده لشأنئه، وكذلك تمثل حقيقة الهدى والخير والإيمان، وحقيقة الضلال والشر والكفران ، الأولى كثرة وفيض وامتداد ، والثانية قلة وانحسار وانبتار وإن ظن الغافلون غير هذا وذاك .

ورد أن سفهاء قريش كانوا يقولون عن النبى ﷺ إنه أبتر ، ويشيرون بهذا إلى موت الذكور من أولاده وقال أحدهم : فإنه سيموت بلا عقب وينتهى أمره ، ومن ثم نزلت هذه تمسح على قلبه ﷺ بالروح والندى ، والكوثر صيغة من الكثرة ، وهو مطلق غير محدود ، فإذا أراد أحد أن يتتبع هذا الكوثر الذى أعطاه الله لنبيه فهو واجده حيثما نظر أو تصور ، وهو واجده فى النبوة ، فى هذا الاتصال بالحق الكبير، والوجود الكبير، الوجود الذى لا وجود غيره ولا شىء فى الحقيقة سواه، وماذا فقد من وجد الله ؟ وهو واجده فى هذا القرآن الذى نزل عليه ، وهو واجده فى الملأ الأعلى الذى يصلى عليه ، وهو واجده فى سنته الممتدة على مدار القرون ، وهو واجده فى الخير الكثير الذى فاض على البشرية فى جميع أجيالها بسببه وعن طريقه ، وهو واجده فى مظاهر شتى ؛ إنه الكوثر الذى لا نهاية لفيضه .

وبعد توكيد هذا العطاء الكثير الفائض الكثرة وجه الرسول ﷺ إلى شكر النعمة بحقها الأول؛ حق الإخلاص والتجرد لله فى العبادة وفى الاتجاه ، فى الصلاة وفى ذبح النسك خالصا لله غير ملق بالا إلى شرك المشركين وغير مشارك لهم ، ويقرر أن الأبتر ليس هو محمد فهو صاحب الكوثر ، إنما هم شانئوه وكارهوه ، ولقد صدق فيهم وعيد الله فقد انقطع ذكرهم وانطوى بينما امتد ذكر محمد ﷺ وعلا ، والإيمان والحق والخير لا يمكن أن يكون أبتر ولا أن يكون صاحبه أبتر وكيف وهو موصول بالله الحى الباقى الأزلى الخالد ؟ إنما يبتر الكفر والباطل والشر ويبتر أهله .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ وجوب مقابلة النعم وشكر المنعم والاعتراف بفضله ، ونعمة الأمن من أعظم نعم الله على عباده .

٢ ـ من علامات التكذيب بيوم الحساب البخل وعدم إطعام الفقراء والمساكين أو حث الناس على ذلك .

٣ ـ تكريم الرسول ﷺ وتشريفه بين الخلق جميعا ، والدعوة إلى التوحيد وإخلاص العمل لله وحده .

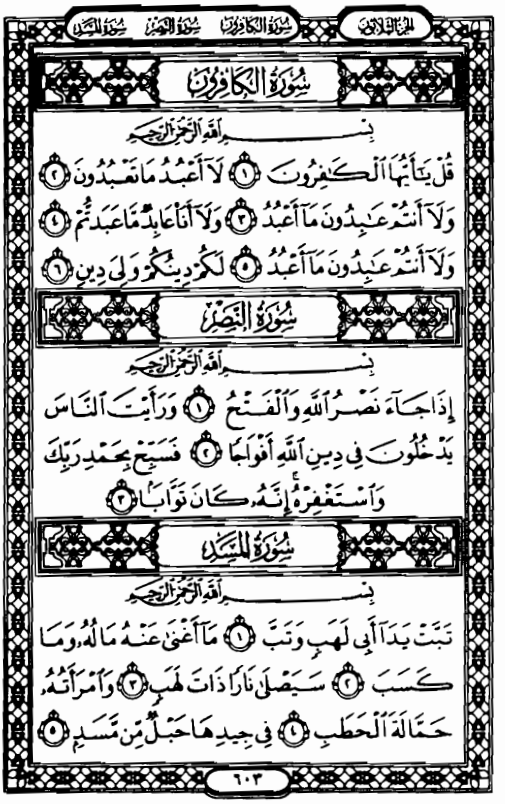

معانى الكلمات :

دينكم : شرككم وكفركم أو جزاؤه .

أفواجا : جماعات جماعات كثيرة .

توابا : كثير القبول لتوبة عباده .

تبت : هلكت أو خابت .

ما أغنى عنه : ما دفع التباب عنه .

سيصلى : سيدخل .

جيدها : عنقها .

مسد : ما يفتل قويا من الحبال .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم كيف بينت سورة الكافرون وجوب المفاصلة بين الكفر والإيمان .

٢ ـ أن نعلم البشرى التى تحملها سورة النصر لرسول الله ﷺ وما فيها من توجيه ودلالات .

٣ ـ أن نتعرف على الصورة الزرية المثيرة للسخرية فى سورة المسد .

المحتوى التربوى :

يقول صاحب الأساس : « ذكرت هذه السورة موضوع المفاصلة بين المسلمين وغيرهم فى العبادة والدين ، فحددت بذلك أن العبادة التى أمر الله ـ عز وجل ـ بها فى الإسلام فى محور السورة تختلف عن أى عبادة أخرى ، وأن الإسلام غير الأديان الأخرى ؛ إذ كلها منسوخة بهذا الإسلام » .

ولعل اختلاط تصورات المشركين ، واعترافهم بالله مع عبادة آلهة أخرى معه ، لعل هذا كان يشعرهم أن المسافة بينهم وبين محمد قريبة يمكن التفاهم عليها بقسمة البلد بلدين ، والالتقاء فى منتصف الطريق مع بعض الترضيات الشخصية ! ولحسم هذه الشبهة وقطع الطريق على

المحاولة ، والمفاصلة الحاسمة بين عبادة وعبادة ، ومنهج ومنهج ، وتصور وتصور ، وطريق وطريق ، نزلت هذه السورة بهذا الجزم وبهذا التوكيد وبهذا التكرار لتنهى كل قول ، فجاءت بنفى بعد نفى ، وجزم بعد جزم ، وتوكيد بعد توكيد ، وجاء الأمر الإلهى الحاسم الموحى بأن أمر هذه العقيدة أمر الله وحده ، ليس لمحمد فيه شىء ، إنما هو الله الآمر الذى لا مرد لأمره ، الحاكم الذى لا راد لحكمه ، ونادى على الكافرين بحقيقتهم ، ووصفهم بصفتهم ، إنهم ليسوا على دين ، وليسوا بمؤمنين وإنما هم كافرون ، فلا التقاء إذن فى طريق .

وهكذا يوحى مطلع السورة وافتتاح الخطاب بحقيقة الانفصال الذى لا يرجى معه اتصال ، فعبادتى غير عبادتكم ، ومعبودى غير معبودكم ، وعبادتكم غير عبادتى ، ومعبودكم غير معبودى ، فأنا لا أسلك عبادتكم ولا أقتدى بها ، وإنما أعبد الله على الوجه الذى يحبه ويرضاه ، وأنتم لا تقتدون بأوامر الله وشرعه فى عبادته، بل قد اخترعتم شيئا من تلقاء أنفسكم فتبرأ منهم جميع ما هم فيه ، فنفى قبوله لذلك بالكلية ؛ لأن النفى بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل ، وكونه قابلا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الإمكان الشرعى أيضا فأنا هنا وأنتم هناك ، ولا معبر ولا جسر ولا طريق ، مفاصلة كاملة شاملة ، وتميز واضح دقيق .

يقول صاحب الظلال : « ولقد كانت هذه المفاصلة ضرورية لإيضاح معالم الاختلاف الجوهرى الكامل الذى يستحيل معه اللقاء على شىء فى منتصف الطريق ، الاختلاف فى جوهر الاعتقاد ، وأصل التصور ، وحقيقة المنهج ، وطبيعة الطريق » .

سورة النصر

يقول صاحب الظلال : « هذه السورة الصغيرة كما تحمل البشرى لرسول الله ﷺ بنصر الله والفتح ودخول الناس فى دين الله أفواجا ، وكما توجهه ﷺ حين يتحقق نصر الله وفتحه واجتماع الناس على دينه إلى التوجه إلى ربه بالتسبيح والحمد والاستغفار ، كما تحمل إلى الرسول ﷺ البشرى والتوجيه تكشف فى الوقت ذاته عن طبيعة هذه العقيدة وحقيقة هذا المنهج ، ومدى ما يريد أن يبلغ بالبشرية من الرفعة والكرامة والتجرد والخلوص ، والانطلاق والتحرر.. » .

وفى مطلع الآية الأولى يقرر السياق أن نصر الله يجىء به الله ، فى الوقت الذى يقدره ، فى الصورة التى يريدها ، للغاية التى يرسمها ، وليس للنبى ولا أصحابه من أمره شىء ، وليس لهم فى هذا النصر يد ، وليس لأشخاصهم فيه كسب .. إنما هو أمر الله يحققه بهم أو بدونهم ، وحسبهم منه أن يجريه الله على أيديهم ، وبناء على هذا يتحدد شأن الرسول ﷺ ومن معه بإزاء تكريم الله لهم ، وإكرامهم بتحقيق النصر على أيديهم ، إن شأنه ومن معه هو الاتجاه إلى الله

بالتسبيح وبالحمد والاستغفار فى لحظة الانتصار ، والاستغفار لحظة الانتصار فيه إيحاء للنفس وإشعار فى لحظة الزهو والفخر بأنها فى موقف التقصير والعجز ، فأولى أن تطامن من كبريائها ، وتطلب العفو من ربها .

يقول صاحب الأساس : « ألا ترى أن هذه التربية لرسول الله وللمسلمين حال النصر والفتح ، وإقبال الناس على الإسلام يستحيل أن تكون بشرية أو يفطن لها الإنسان ، فالناس فى النصر والفتح يبطرون ويسكرون ويقبلون على المتاع واللذة ، بينما السورة تربى على غير ذلك » .

سورة المسد

نزلت هذه السورة ترد على الحرب المعلنة من أبى لهب وامرأته ، وتولى الله ـ سبحانه ـ عن رسوله ﷺ أمر المعركة ، والتباب : الهلاك والبوار والقطع ، وتبت الأولى دعاء ، والثانية تقرير لوقوع هذا الدعاء ، ففى آية قصيرة واحدة فى مطلع السورة تصدر الدعوة وتتحقق ، وتنتهى المعركة ويسدل الستار ، فأما الذى يتلو آية المطلع فهو تقرير ووصف لما كان ، لقد تبت يداه وهلكتا وتب هو وهلك ، فلم يغن عنه ماله وسعيه ولم يدفع عنه الهلاك والدمار .

ذلك ـ كان ـ فى الدنيا ، أما فى الآخرة ، فإنه سيصلى ناراً ذات شرر ولهيب وإحراق شديد ، وستصلاها معه امرأته حالة كونها حمالة للحطب ، وفى عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ، ثم يرمى بها إلى أسفلها ثم كذلك دائما .

يقول صاحب الظلال : « ولكن الصورة الزرية المثيرة للسخرية التى شاعت فى آياتها ، قد سجلت فى الكتاب الخالد ، وسجلتها صفحات الوجود أيضا تنطق بغضب الله وحربه لأبى لهب وامرأته جزاء الكيد لدعوة الله ورسوله ، والتباب والهلاك والسخرية والزراية جزاء الكائدين لدعوة الله فى الدنيا ، والنار فى الآخرة جزاء وفاقا ، والذل الذى يشير إليه الحبل فى الدنيا والآخرة جميعا » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ إخلاص العبادة لإله واحد لا شريك له وهو الله ، والإسلام لا يجبر أحدا على الدخول فيه .

٢ ـ يجب تسبيح الله وحده على نعمه ونصره لدينه ، والله واسع الرحمة يقبل التوبة من عباده المخلصين .

٣ ـ الله ـ عز وجل ـ يدافع عن المؤمنين .

معانى الكلمات :

الله الصمد : هو وحده المقصود فى الحوائج

كفوا : مكافئا ونصيرا . **برب الفلق** : برب الصبح أو الخلق كلهم .

شر غاسق : شر الليل .

وقب : دخل ظلامه فى كل شىء .

النفاثات فى العقد : النساء السواحر ينفثن فى عقد الخيط .

الوسواس : الموسوس جنيا أو إنسيا .

الخناس : المتوارى المختفى .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نعلم حقيقة التوحيد ومقتضياته .

٢ ـ أن نعلم ممن تكون الاستعاذة .

٣ ـ أن نعلم بمن تكون الاستعاذة .

المحتوى التربوى :

هذه السورة الصغيرة تعدل ثلث القرآن كما جاء فى الروايات الصحيحة ، وليس فى هذا من غرابة ، فإن الأحدية التى أمر رسول الله ﷺ أن يعلنها ، هى : عقيدة للضمير وتفسير للوجود ، ومنهج للحياة ، وقد تضمنت السورة ـ من ثم ـ أعرض الخطوط الرئيسية فى حقيقة الإسلام الكبيرة ، ولفظ أحد أدق من لفظ واحد ؛ لأنه يضيف إلى معنى واحد أن لا شىء غيره معه ، وأن ليس كمثله شىء ، إنها أحدية الوجود فليس هناك حقيقة إلا حقيقته ، وليس هناك وجود حقيقى إلا وجوده ، وهى ـ من ثم ـ أحدية الفاعلية فليس سواه فاعلا لشىء ، أو فاعلا فى شىء فى هذا الوجود أصلا ، فإذا استقر هذا التفسير ، ووضح هذا التصور ، خلص القلب من كل غاشية ،ومن كل شائبة ، ومن كل تعلق بغير هذه الذات الواحدة المتفردة بحقيقة الوجود وحقيقة الفاعلية ، وعندئذ يتحرر القلب من جميع القيود ، يتحرر من الرغبة والرهبة وهما أصل

قيود كثيرة ، وفيم يرغب وهو لا يفقد شيئا متى وجد الله ؟ ومن ذا يرهب ولا وجود لفاعلية إلا لله ؟

من هنا ينبثق منهج كامل للحياة ... منهج لعبادة الله وحده ، ومنهج للاتجاه إلى الله وحده فى الرغبة والرهبة ، فى السراء والضراء ، فى النعماء والبأساء ... ومنهج للتلقى عن الله وحده ، تلقى العقيدة والتصور والقيم والموازين، والشرائع والقوانين والأوضاع والنظم والآداب والتقاليد .. ومنهج للتحرك والعمل لله وحده...تطلعا إلى الخلاص من الحواجز المعوقة والشوائب المضللة.. ومنهج يربط مع هذا ـ بين القلب البشرى وبين كل موجود برباط الحب والأنس والتعاطف والتجاوب ، فكله حبيب ؛ إذ كله هدية من الحبيب .

ومعنى أن الله الصمد أى السيد الذى قد كمل فى سؤدده فلا سيد غيره ، وليس له ولد ولا والد ولا صاحبة ، ولم يوجد له مماثل أو مكافئ لا فى حقيقة الوجود ، ولا فى حقيقة الفاعلية ، والقرآن يذكر هذه التفريعات لزيادة التقرير والإيضاح .

سورة الفلق

هذه السورة والتى بعدها توجيه من الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنبيه ﷺ ابتداء وللمؤمنين من بعده جميعا ، للعياذ بكنفه ، واللياذ بحماه ، من كل مخوف : خاف وظاهر ، مجهول ومعلوم على وجه الإجمال وعلى وجه التفصيل ، وكأنما يفتح الله ـ سبحانه ـ لهم حماه ، ويسط لهم كنفه ، ويقول لهم فى مودة وعطف : تعالوا إلى هنا ، تعالوا إلى الحمى ، تعالوا إلى مأمنكم الذى تطمئنون فيه ، تعالوا فأنا أعلم أنكم ضعاف ، وأن لكم أعداء ، وأن حولكم مخاوف . وهنا الأمن والطمأنينة والسلام .

وفى هذه السورة يذكر الله ـ سبحانه ـ بصفته التى بها يكون العياذ من شر ما ذكر فى هذه السورة ، والفلق من معانيه الصبح ، ومن معانيه الخلق كله ، بالإشارة إلى كل ما يفلق عنه الوجود والحياة ، وللخلائق شرور فى حالات اتصال بعضها ببعض كما أن لها خيراً ونفعا فى حالات أخرى ، والاستعاذة بالله هنا من شرها ليبقى خيرها ، والغاسق فى اللغة الدافق ، والوقب : النقرة فى الجبل يسيل منها الماء ، والمقصود هنا غالبا هو الليل وما فيه ، وهو مخوف بذاته ففيه مظنة خروج الحيات السامة والحيوانات المفترسة والجماعات المتلصصة للسطو والسرقة وابتغاء الشر والفساد ، والنفاثات فى العقد : السواحر الساعيات بالأذى عن طريق ما يعقدن من الخيوط وما ينفثن على كل عقدة حتى ينعقد ما يرد من السحر ، والنفث هو النفخ مع ريق وهو دون التفل وهو مرتبة بينها ، والنفث فعل الساحر **يقول ابن القيم فى بدائع الفوائد** :

« والسحر له تأثير وله حقيقة .. والسحر الذى يؤثر مرضا وثقلا وحلا وعقداً وحبا وبغضا ونزيفا وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس ، وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه » .

والحسد : انفعال نفسى إزاء نعمة الله على بعض عباده مع تمنى زوالها ، وسواء أتبع الحاسد هذا الانفعال بسعى منه لإزالة النعمة تحت تأثير الحقد والغيظ ، أو وقف عند حد الانفعال النفسى ، فإن شراً يمكن أن يعقب هذا الانفعال .

فها هنا شر يستعاذ منه الله ويستجار منه بحماه ، والله برحمته وفضله هو الذى يوجه رسوله ﷺ وأمته من ورائه إلى الاستعاذة به من هذه الشرور ومن المقطوع به أنهم متى استعاذوا بالله وفق توجيهه أعاذهم وحماهم من هذه الشرور إجمالا وتفصيلا .

سورة الناس

الاستعاذة فى هذه السورة برب الناس ، ملك الناس إله الناس ، والمستعاذ منه هو : شر الوسواس الخناس ، **يقول ابن القيم فى بدائع الفوائد** :

« **الإضافة الأولى** : إضافة الربوبية المتضمنة لخلقهم وتدبيرهم وإصلاحهم وجلب مصالحهم وما يحتاجون إليه ودفع الشر عنهم ، وحفظهم مما يفسدهم ، هذا معنى ربوبيته لهم .

الإضافة الثانية : إضافة الملك ، فهو ملكهم المتصرف فيهم وهم عبيده ومماليكه ، وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء .. فهو ملكهم الحق الذى إليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب ..

الإضافة الثالثة : إضافة الإلهية ، فهو إلههم الحق ومعبودهم الذى لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره ، فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه فى ربوبيته أحد ولا فى ملكه أحد ، فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم ، فلا ينبغى أن يجعلوا معه شريكا فى إلهيته كما لا شريك معه فى ربوبيته وملكه ... » .

والله برحمة منه يوجه رسوله ﷺ وأمته إلى العياذ به والالتجاء إليه ، مع استحضار معانى صفاته هذه ، من شر الشيطان الجاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر الله خنس واختفى وتوارى ، وقد جعل الله للشيطان دخولا فى جوف العبد ونفوذًا إلى قلبه وصدره فهو يجرى منه مجرى الدم ، وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات . ثم يبين الذى يوسوس وأنهم نوعان : إنس وجن ، فالجن يوسوس فى صدور الإنس والإنسى أيضا يوسوس إلى الإنسى .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ ـ لابد من الاتجاه إلى الله وحده ، فلا نرغب إلا فيما عنده ولا نخاف إلا منه .

٢ ـ توجيه المؤمنين إلى اللجوء إلى الله والاحتماء به من كل ما يخيف .

٣ ـ إبليس أشد أعداء بنى آدم ، وله أعوان وجنود يساعدونه .

تم ولله الحمد والمنة .